دعوة الحق
تصدرها رابطة العالم الإسلامي
مكة المكرمة

من سمات الأدب الإسلامي

بقلم :
د. مصطفى عبدالواحد

السنة الحادية عشرة - العدد ١٢٨ - شعبان ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م



المقدمة

الحمد لله رب العالمين . . والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وامام المرسلين المبعوث رحمة للعالمين . وبعد . . .

فهـذه نظرات في ديـوان الشعر العـربي - تـدل على أثر الإسـلام في الشعر . . في عصوره المختلفة . . وتدفع دعـاوي المفترين الذي يزعمون ان الإسـلام أضعف الشعـر الـذي تأثر بـه . . وان الشـاعـر لا يستطيع الإبداع إلا إذا فارق الدين والجماعة !

● ولم يكن بـالمستطـاع - في هـــذا البحث الموجـز - تعقب الأثـر الإسـلامي في كل عصر ولدى كل شـاعـر . . وإنما هي أمثلة تـدل على ماوراءها . . وتلفـت النظر إلى وجوب التحرر من هـذه الأفكار السقيمة التي تريد جعل الأدب وسيلـة لإثارة الفوضى الفكرية وسـلاحاً في أيدي أعداء الإيمان !

● وأرجو أن ينهض النقاد والباحثون المسلمـون لتأكيد هذه الحقيقة وكشف جـوانب الإبـداع والتفـرد الذي حققـه شعـراء كثيرون في ظـلال الإسلام . . وإن كان كثير منهم قد لقي الإغفال والإهمال . .

ولا ينبغي أن نترك المجـال للـذيـن يـزعمـون أن الأدب - والشعـر خـاصة - حمى للشيطـان . . لا يقربـه المؤمنون المتقـون ولا يصيبون فيـه مكاناً !

إنـه مجال من مجالات الجهاد لـرفع راية الإيمان وتأكيـد أثره في حيـاة الإنسان . . ومن الله سبحانه الهداية والتوفيق . . .

د. مصطفى عبدالواحد

الأستاذ بقسم الدراسات العليا العربية

بكلية اللغة العربية - جامعة أم القرى

رمضان سنة ١٤١٢هـ

مـارس سـنة ١٩٩٢م

من سمات الأدب الإسلامي

حين نتحدث عن سمات الأدب الإسلامي فإننا نتجاوز الوقوف عند إثبات وجود ذلك الأدب والرد على شبهات من يمارون في تأثير الإسلام في الأدب ويزعمون أن الأدب بطبيعته منفصل عن العقيدة والحقيقة والأخلاق . . ذلك لأن مجادلة هؤلاء عناء لا طائل تحته ، فإنهم يتجاهلون حقائق التاريخ وينكرون الواقع الملموس في تأثر الأديب بالبيئة ومايسودها من قيم وماتشتغل به من غايات . . ويحاولون تصوير الأدب على أنه غياب عن الواقع وحلم لا يقظة منه .

إن موقفهم من قضية الإسلام والشعر ، خاصة ، موقف بعيد عن الموضوعية والإنصاف . .

ونمثل لموقف هؤلاء بكلام على أحمد سعيد الملقب أدونيس في كتابه «صدمة الحداثة» فالله قد أبدع له المضمون (العقيدة الإسلامية) والتاريخ الهريق لغة وشعراً أبدع له الشكل ، فمن أين له هو أن يبدع ما يفوقهما ؟ إن مهمته هي في أن يأخذ ما أعطى له ، وأن يجيد في محاكاته واستعادته فهو لا يبدع بل ينسخ ويصوغ»(١) .

ويزعم هذا الشاعر المجترىء على العقيدة الإسلامية في شعره الفوضوي أن «النبوة حلَّت محل الشعر إلى مستوى الفاعلية الثانية ، صار

(١) صدمة الحداثة ص ٢٣٤ الطبعة الرابعة بيروت ١٩٨٢ .

أداة لخدمة الدين ينشره ويدافع عنه ويمجده ، وهذا يعني - كما يقول - أن الإسلام ألغى الشعر من حيث أنه مصدر للمعرفة ، أو من حيث أنه طريقة أصلية في استبطان العالم والكشف عنه ومعرفته ، وأثبته كأداة كلامية للدفاع عن الدين»(٢) .

• ويمضي أدونيس في مزاعمه التي يشوه فيها صورة الأدب الإسلامي الملتزم بحقائق الإسلام ، فيقول : «ليس الشاعر في الإسلام (ذاتاً) وإنما هو جزء في الجماعة الإسلامية ، فليس هو الذي يفكر بل الجماعة ، وليس هو الذي يكتب ، بل الشكل - اللغة والشعر جزء من عملية النشاط العام الذي تقوم به الجماعة» .

تلك مقدمات باطلة انتهى «أدونيس» منها إلى النتيجة التي أرادها ، والتي يقوم على أساسها اتجاهه وأشياعه إلى الدعوة إلى فصل الشعر العربي عن العقيدة ، بل وإغراء الشعراء بالهجوم عليها ومعاداتها إن أرادوا الإبداع والعبقرية ، استمع إليه إذ يقول :

«إن الشعر العربي لم يبدأ بالنهوض إلا حين بدأ الشاعر يقيم مسافة بينه وبين الايديولوجية الدينية من جهة وبينه وبين «الجماعة» بالمعنى الديني من جهة ثانية ، أو حين بدأ الإنفصال بتعبير آخر بين الذات والجماعة ، في محاولة من الشاعر لإستعادة ذاته «الضائعة» في «الجماعة» وفي «الدين» في هذا الإنفصال أخذ الشاعر يدخل العالم «المحرم» ويرفض الأشكال والأفكار المسبقة ، وإذا كان هذا الإنفصال عزله عن الجمهور الوارث القديم فقد وصله بجمهور ناشيء جديد ، وقد بلغت هذه الحركة من الإنفصال والإتصال أوجها في نهاية القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) في نتاج أبي نواس وأبي تمام»(٣) .

---

(٣) المصدر السابق ٢٣٦ .

دعوة للإنفصال عن العقيدة !

هكذا يرى هؤلاء المخادعـون ان الشاعر إذا أراد الإبداع وتحقيق ذاته فلا بد أن ينفصل عن العقيدة - وهذا مايعنيـه أدونيس بإقامة المسافة بين الشـاعر وبين الأيـديولـوجية الـدينيـة - كما لابد لـه أيضاً في نظـرهـم من الإنفصـال عن أمته أو الجماعـة بـالمعنى الديني بتعبير أدونيس - فـذات الشاعـر تضيع في نظر هذا النـاقد الحداثي في الجماعـة وفي الدين ، ومن هنـا لابد لـه من الـدخول إلى العـالم «المحرم» حتى يـؤكـد انفصالـه عن الـدين ، ولابد لـه من رفض الأشكـال التراثية حتى يـؤكـد انفصالـه عن الجماعة !

ومن هذا الفهم الخاطيء المضلل ينطلق هـؤلاء في عصرنا لتأكيد أن الحداثة والإبـداع والخروج مما يسمونـه «الماضوية» لا تتحقق إلا بـالتحرر من الـدين والانفصـال عن شعـور الجماعـة ، وكـلام أدونيس في كتـابـه «صدمة الحداثة» يمثل موقف هؤلاء ويعبر عنه إذ يقول :

«والدين مـايزال مهيمنـاً على الحياة المدنيـة بكاملهـا ، وعلى الحياة الثقافيـة والتشريعية والسياسية ، ومـايزال الوعي الطبقي مطمـوساً بهذه الهيمنة الـدينية على الأخص (المؤمنـون جماعة واحدة ، أمـة واحدة . . . الخ) ولذلك فإن الصراع الطبقي مايزال هو الآخر مطموساً»(٤) .

وينتهي فيلسوف الحداثـة وشاعـرها إلى : «أن دور هذا الشـاعر - العـربي المبـدع - هـو في أن ينتج فعاليـة جماليـة لا يستـوحيهـا من المادة السائدة بقوة «الأيـديولوجية» السـائدة ، بل يستوحيها على العكس ، من الطاقة الكامنة المقمـوعة ، لكن القادرة على تغيير شروطها وإبداع شروط

(٤) المرجع السابق ص ٢٤٠ .

جديدة لحياة جديدة(٥) .

وهكذا أوصد المعادون للدين والأمة الباب أمام الشاعر المسلم الملتزم بالعقيدة والحقيقة والأخلاق . . فهو في نظرهم لا يمكن أن يحقق الإبداع . . ولا أن يجد ذاته الضائعة كما يقولون في الدين وفي الجماعة . .

فإن أراد العبقرية والتفرد فليس أمامه إلا أن يهاجم العقيدة وينفصل عنها . . ويصادم الجماعة ويعزل نفسه عن مشكلاتها وهمومها وقضاياها ، ويفجر الصراع الطبقي الذي يتحسر أدونيس على أنه مايزال مطموساً بتأثير فكرة الأمة الواحدة التي جاء بها الإسلام !

لابد من الرجوع إلى ديوان الشعر العربي :

إن مناقشة هذه المزاعم ومقاومة هذه الأباطيل تحتاج إلى كتب ضخمة ، تثبت لهؤلاء أن الشاعر المسلم الملتزم قد استطاع الإبداع ، وقد وجد ذاته في العقيدة الإسلامية التي فسرت له الكون والحياة ، ووسعت نطاق وعيه بالإيمان بالغيب وربطت بين الدنيا والآخرة وفسرت له مغزى الحياة وخلصته من الشعور بالضياع والقلق والحسرة . . كما وجد ذاته في التعبير عن هموم أمته وآمالها . . والارتباط بتاريخها واستشعار الأخوة الإسلامية الجامعة التي تؤلف بين الأبيض والأحمر والعربي وغير العربي . . بل تجعله يستشعر الأخوة الإيمانية الجامعة بينه وبين المؤمنين في كل جيل وقبيل : ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة﴾ . وليس السبيل إلى إثبات هذه الحقائق هو مجرد تقريرها ، بل لابد من الرجوع إلى ديوان الشعر العربي منذ فجر الإسلام حتى اليوم - لنجد روح الإسلام تسرى فيه ، ولنجد الإرتباط بالعقيدة وبالأمة واضحاً حتى عند هؤلاء الذين يدعي المفترون

---

(٥) المرجع السابق ص ٢٤١ .

أنهم خرجوا على العقيدة ورفضوا تراث الأمة !

ثم بعد ذلك النظر في آداب الشعوب الإسلامية من غير العرب ، لنرى كيف أثر الإسلام في تلك الآداب أعمق الأثر ، وكيف استطاع الأدباء المسلمون - الذين كتبوا بلغاتهم - الإبداع وتحقيق الذات بفضل ارتباطهم بالإسلام وبالجماعة ، لا بسبب انفصالهم عنها . .

«اليوت» .. والدين !

إن هذا العمل الذي يضع الأمور في نصابها ، يكشف زيف دعاوي المبطلين يحتاج إلى جهد وخطة علمية ينبغي أن تضطلع بها الجامعات العربية والإسلامية ، للكشف عن إبداع الشعراء والكتاب في ظلال الإسلام ، ولنقض الزعم بأن الإبداع والشاعرية لا يتحققان إلا بالبعد عن العقيدة والإنفصام عن الجماعة ، كما يدعي هؤلاء المفترون وماذا يقول هؤلاء في تحول الشاعر الأمريكي الإنجليزي «ت . س . اليوت» الذي كان من أتباع المدرسة الرمزية ، حين أعلن في النصف الثاني من عمره «أنه أنجلو كاثوليكي دينياً ، وكلاسيكي أدبياً . .» وقد انعكس هذا التحول على علاقته بالنظرية الرمزية(٦) .

«يقول تندال : مثلما اقترب «اليوت» في قصائده الأخيرة من المسيحية كان اقترابه من الرمزيين ، فلم يعد يتكىء بصفة أساسية على الصورة الشعرية ، بل أصبح اهتمامه منصباً على إثارة الفكر والشعور عن طريق الإيقاع والتقريرات النثرية الموحية . . ولعل قصيدته «أربعاء الرماد» من أغنى النماذج بخصائص هذه المرحلة ، وفيها يندمج آخر أثر لما كان يحسه الشاعر من مرارة ، ببوادر شجن جديد تعبر عنه مواقف غنائية ذات نبرات مسيحية واضحة :

(٦) الرمز والرمزية في الشعر المعاصر للدكتور محمد فتوح أحمد ص٩٧ الطبعة الثالثة القاهرة ١٩٨٤م .

أيتها الأخت المباركة

أيتـــها الأم المقدسة

ياروح النافـــــورة

يا روح الحـــــديقة

لا تذرينا نخدع بالزيف أنفسنا(٧)

فهل يـرى أدونيـس وأشيـاعـه أن اقتراب «اليـوت» من المسيحيـة وتعصبـه لها . . وأن رجوعـه إلى الكلاسيكيـة الأدبيـة قد أفقـده إبداعـه وأضاع ذاته . . أم أنه يغتفر في المسيحية مالا يغتفر في الإسلام؟!

وهذا كـاتب عن «اليوت» في ذكـراه المئويـة التي حلت عام ١٩٨٩ يقـول : «ويتحـول – اليـوت – إلى الكنيسـة الإنجليـزيـة ويتـادي بأنـه كلاسيكي في الأدب ، ملكي في السيـاسة ، أنجلوكاثـوليكي في الدين ، بل يصبح متعصباً للـدين وضرورته في تطهير حيـاة الفرد وقيم المجتمع ، ولكنـه يصبح على رأس شعراء عصره وأكثـرهم نفـوذاً ، ويؤسس لنفسـه مكانة مرموقـة في النقد والشعر على السواء»(٨) فهل اتباع الإسـلام وحده هو الذي يفضي بالشاعر إلى الضياع والتأخر . . ؟!

إنها مأسـاة فـادحة أصـابت نفـراً منـا ، يتكلمون بلسـاننـا ، لكن قلوبهم وعقولهم في أودية أخرى بعيدة عن أفق العروبة والإسلام .

شاهد منهم :

ولابـــد هنـا من الإشـــارة إلى صحـــوة الضمير عنـد بعض النقـــاد الأوروبيين ، الـذي سئموا من تـرداد الـدعـاوي التي تباعـد بين الأدب

---

(٧) المرجع السابق ص ٩٨ .

(٨) الدكتور علي شلش : اليوت في ذكراه المئوية . مجلة العربي عدد يناير ١٩٨٩م .

والعقيـدة والحقيقـة والأخـلاق ، ومن هـؤلاء الناقـد المعـاصر «تـزفيتـان تودوروف» الفـرنسي الجنسية الـذي تلقى ثقافتـه في بلغاريـا ثم رحل إلى باريس حيث استكملها وتأثر باتجاهات النقد البنيوي الأسلوبي . .

هذا النـاقد قال بعض الحقيقة في لمحـات من كتابه : «نقـد النقد» واستمع إليه إذ يقول :

«فمنـذ مـائتي عـام ردَّد علينـا الــرومـانتيكيـون وورثتهـم الـذين لايحصون ، كل منهم بشكل أفضل من الآخر أن الأدب لغة تجد غايتها في ذاتها ، حان الوقت للرجوع إلى البـديهيات التي من المفترض عدم نسيانها : لـلأدب علاقـة بالـوجود الإنسـاني ، إنه - تبّاً لأولئك الذين يخشـون الكلمات الكبيرة - خطاب موجه نحو الحقيقـة والأخلاق . . كان سارتر يقول : «إن الأدب هـو كشف للإنسان والعـالم» . وكان على حق ، ولن يكون الأدب شيئاً إذا لم يتح لنا أن نفهم الحياة بصورة أفضل»(٩) .

هكذا رجع «تودوروف» إلى الحقيقة بعد طول تشتت وغربة وضياع ، وهكذا أدرك ضرورة توثيق العلاقة بين الأدب والوجود الإنساني ، وضرورة اتجاهه نحو الحقيقة والأخلاق . ويتضح هذا من قوله :

«أدب وأخلاق : سيصيح معـاصري : أيّ فظاعـة ! وأنا بـالذات كنت أعتقد مع اكتشـافي حولي لأدب مرهون للسياسـة أنه يجب قطع أي صلة لـلأدب بكل ماعـداه وصونه منـه ، إلا أن العلاقة بـالقيم هي من صميم الأدب ، ليس لأنه من المستحيل الحديث عن الوجود دون الرجوع إليها وحسب ، وإنما أيضاً لأن فعل الكتابة هو فعل اتصال ، مما يتضمن إمكان التفاهم باسم القيم المشتركة(١٠) .

---

(٩) نقد النقد لتودوروف ص ١٤٩ ترجمة سامي سويدان الطبعة الأولى سنة ١٩٨٦م بيروت مركز الإنماء القومي .

(١٠) الوساطة ص ٦٤ تحقيق أبي الفضل والبجاوي .

وهـو الذي يقـول : «يمكن لنقـائض النـاقـد البنيوي أن تعـوض بمكتسبـات الاختصاصي بـالأيديـولوجيـات . . فلا يكتفي «بماذا قـال» وإنما يستكمل بـ «هل هو على حق؟» (١١) .

هذه آخـر صيحة لدى النقد الجديـد ، الذي مازال نفر من أدبـائنا يبشرون به ويهتفون باسمه لكنهـم يكاتمون ، فيرددون المقولات القديمة ، ويخفون ما فيه انتصار للعقيدة والحقيقة والأخلاق . . يزعمون لنا أن غاية الشعر هي الشعر . . وان غاية اللغة هي اللغة . . ويخفوننا من الاتصال بـالعقيدة أو الإنتماء إلى التراث . . حتى لا ننقطع عن الـركب ولا نقع في مهاوي التخلف . .

ولكن آيـات الله تظهر في الآفـاق . . والعقلاء من شتى الأجنـاس والأديان يراجعون أنفسهم ، ويكفـون عن العبث الذي لا طائل تحته . . وعن الخراب الـروحي والجفـاف الـوجـداني الـذي يـؤدي إليـه الأدب الفوضوي المتوحش المنطلق بلا غاية ولا هدف . .

أرى أن هذه المقدمة قد طالت . . لكنها ليست استطراداً بعيداً عن الموضوع ، بل هي حجر الأساس في القضية التي نحن بصددها ، إذ أننا بإزاء محاربين غير شرفـاء ، يـؤولـون متعسفين . . ويكتمـون الحق وهم يعلمون ، ويستـوردون لنا نفايات الأفكـار وشواذ الآراء ويعظمونها غـاية التعظيم ، بينما يزرون بـآراء السابقين والمعاصرين مـادامت لا تصدر من منطلق التبعيـة والإنقياد . . ويفـرحون بـالنقاط كلمات عـابرة يـؤسسون عليها دعاوي ضخمة . . ككلمة القاضي الجرجاني في كتابه الوساطة بين المتنبي وخصومه التي قال فيها : «والدين بمعزل عن الشعر»(١١) .

---

(١١) الوساطة ص ٦٤ تحقيق أبي الفضل والبجاوي .

الجرجاني بريء !

لقد فرح بها بعض هؤلاء الذين يرون الحداثة في المباعدة بين الشاعر وبين الدين وبينه وبين الأمة . . واقتطعوها من سياقها ، ونسوا أن الجرجاني بصدد الدفاع عن المتنبي وإنصافه ممن تجنوا عليه ، وممن حاولوا تأخير رتبته في الشعر بسبب بعض الأخطاء العقدية في ديوانه . . مع أن هؤلاء يحتملون لسواه من الشعراء مالايحتملون له ولهذا قال :

«والعجب ممن ينتقص أبا الطيب ويغضّ من شعره لأبيات وجدها تدل على ضعف العقيدة وفساد المذهب كقوله . . وهو يحتمل لأبي نواس قوله . . »

فلم يقصد الجرجاني إلى جواز خروج الشاعر عن العقيدة ولم يسوّغ له ذلك ، ولم يحاول الفصل بين الإسلام والشعر ، بل كان بصدد موازنة في أمر القدرة الفنية لأبي الطيب المتنبي .

وقد ناقش مقولة الجرجاني هذه بعض النقاد الإسلاميين المعاصرين كالدكتور عبدالباسط بدر في كتابه «مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي» وذلك إذ يقول «وإذا تجاوزنا ما عرف عن الجرجاني أنه قاض ورع ملتزم بالإسلام ونظرنا إلى العبارات مجردة عن سياقها لكان لنا أن نناقش الجرجاني ونرد قوله بسهولة ، ذلك أن قياس المتنبي وأبي نواس على الشعراء الجاهليين لا يصح إطلاقاً ، ومن غير المقبول أن أطالب الجاهليين بمقاييس إسلامية ولا أنكر على هؤلاء أن يأتوا بما يخالف عقيدتي .

ولكنني أنكر على المتنبي وأبي نواس أن يصدمني أحدهما أو كلاهما في شعوري الديني . وقياس المتنبي على أبي نواس كما يقول الدكتور إحسان عباس غير مقنع ، لأن مايصدم المشاعر الدينية أو الوطنية أو

العقدية إجمالاً ليس من قبيل الخطأ في الاستعارة أو الإفراط في الشعر، إذ الأول يتطلب من الناقد جهداً بالغاً للفصل بين مجالين والثاني يتطلب منه لباقة في التوجيه والتفسير ، وقلَّ في الناس من يستطيع أن يتجرد من علاقته المبدئية ليباشر الحكم من زاوية فنية خالصة ، فالصدمة في هذا المجال لا تعالج بالمقايسة»(١٢) .

ومما يدل على مقصد القاضي الجرجاني من كلمته تلك أنه يقول بعدها بصفحات كثيرة بعد استعراض مواقف النقاد من الشعراء :

«ولسنا نذهب فيما نذكره مذهب الإحتجاج والتحسين ولا نقصد به قصد العذر والتسويغ ، وإنما نقول :

«إنه عيب مشترك وذنب مقتسم ، فإن احتمل فللكلِّ ، وإن رد فعلى الجميع ، وإنما حظ أبي الطيب فيه حظ واحدٍ من عرض الشعراء ، وموقعه منه موقع رجل من المحدثين»(١٣) وكما قال الدكتور عبدالباسط بدر :

«فالجرجاني لا يدافع عن مضمون الأبيات ولا يعتذر عما ورد فيها من معان ، وإنما يمر إلى القضية التي تشغله ، قضية الإقرار بشاعرية المتنبي ، ولاشك أن الاعتراف بالقدرة الشعرية شيء وقبول القصيدة شيء آخر ، فالحالة الأولى فنية محضة ، والثانية تقويم متكامل تدخل فيه الأدوات الفنية ودلالات القصيدة في وقت واحد ، فلا يمكن أن نقول عن قصيدة هجى بها المسلمين أنها ليست شعراً ، أو ان صورها ليست مصوغة بدقة وبراعة ، ولكن لا شيء يحملنا على قبولها أو الإعجاب بها»(١٤) .

---

(١٢) مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي للدكتور عبدالباسط بدر ص ١٣٨ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥ دار المنارة جدة ، وانظر تاريخ النقد للدكتور احسان عباس ٣١٩ .
(١٣) الوساطة ص ٤٢٨ .
(١٤) مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي ص ١٤٠ .

ولو كـان الدين حقـاً بمعزل عـن الشعر ، لما جاء في محكـم القرآن الحكم على الشعر ، والتفريق بين مـا كان منه ملتزمـاً بالعقيدة معبراً عن الأخـلاق الكريمـة ، ومـا كان وسيلـة لتـزيين الشرور و إثارة الشهـوات وانتهاك الحرمات . قال الحق تبارك وتعالى :

﴿والشعـراء يتَّبعهم الغاوون * ألم تـرأنهم في كل وادٍ يهيمـون وأنهم يقولون مالا يفعلون * إلا الـذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعـد مـاظلمـوا وسيعلم الـذين ظلمـوا أيَّ منقلب ينقلبون﴾(١٥) .

للإسلام رأيه في الشعر :

فهذا دليل لا ينقض على ان لـلإسلام رأيـه في الشعر وموقفـه منه ، وأنـه يحكم على الشعـر بمضمـونـه وهدفـه ، وأنـه لا يترك الشعـراء على أهوائهم يعبثون بالكلمة ويهيمون في الأودية ، ويجعلون القول بمعزل عن العمل ، ولهذا مدح الكتاب الكريم الشعراء :

﴿الذين آمنـوا وعملوا الصالحات وذكـروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ماظلموا﴾

لأن ثمرة الإيمان والصلاح والذكر والدفاع عن الحق ، لابد أن تكون كلمات نافعة صادقة داعيـة إلى الخير ، مصورة لكل ما هو جميل في الكون والنفس والحياة . .

وكذلك كـان الموقف النبوي الكـريم من الشعر ملتـزماً بهذا المنهج ناظـراً إلى هذا الفن بهذا المنظار ، فقد استمع النبي ﷺ إلى شعـر الحكمة وتمثل به . فقد روي الترمذي في صحيحـه والبخاري في الأدب المفرَد عن

(١٥) سورة الشعراء ٢٢٤ - ٢٢٧ .

المقدام بن شريح عن أبيه قال :

قلت لعائشة رضي الله عنهـا : أكان رسول الله ﷺ يتمثل بشيء من الشعر ؟ فقالت :

«كان يتمثل بشيء من شعر عبدالله بن رواحة ويتمثل ويقول :

ويأتيك بالأخبار من لم تزود(١٦) .

واستمع ﷺ إلى شعــر أميــة بـن أبي الصلت ، كما روى مسلم في صحيحه عن عمـرو بن الشريد عن الشريد قـال : استنشدني النبي ﷺ شعر أميـة بن أبي الصلت فأنشـدته فأخـذ النبي ﷺ يقول . هيـه هيه . حتى أنشدته مائة قافية فقال : «إن كاد ليسلم»(١٧) .

وقـد قال ﷺ فيما رواه البخـاري في صحيحـه عن أبيّ بن كعب «إن من الشعر حكمة» .

وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريـرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال :

«أصدق كلمـة قالها شـاعر كلمـة لبيد : ألا كلُّ شيءٍ مـا خلا الله باطل» .

وفي لفظ آخر لمسلم أيضاً :

«أصدق بيت قالته الشعراء»(١٨) .

فالصدق قيمة من القيم الإسلاميـة التي يوزن بها الشعر ومعيار من معايير نقده .

والحكم الإسـلامي على الشعـر في عمـومه يـرجع إلى تلك المقـولـة المأثورة عن بعض الصحابة رضـوان الله عليهم ، والتي رواها البخاري في

---

(١٦) الأدب المفرد للبخـاري حديث رقم ٨٦٧ تحقيق محمد فـؤاد عبدالباقي . وسنن الترمـذي كتاب الأدب .

(١٧) صحيح مسلم كتاب الشعر حديث ١ ، باب ماجاء في إنشاد الشعر .

(١٨) صحيح مسلم كتاب الشعر ٢/ ٣٠٢ - ٣٠٣ (ط عيسى الحلبي)

الأدب المفرد . فعن خـالد ابن كيسان قـال : كنت عند ابن عمـر فوقف ابن خيثمة فقال : ألا أنشدك من شعري يا ابن الفاروق؟

قال : بلى ولكن لا تنشدني إلا حسناً .

فأنشده حتى بلغ شيئاً كرهه ابن عمر قال له : أمسك(١٩) .

وروى عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول :

الشعـر منـه حسن ومنه قبيح ، خـذ بـالحسن ودع القبيح ، ولقـد رويت من شعر كعب بن مـالك أشعاراً منهـا القصيدة فيها أربعـون بيتاً ودون ذلك(٢٠) .

وقـد روي في ذلك المعنى حديث مـرفوع - لكنـه ليس في شيء من الكتب الستة - بل انفرد به البخاري في الأدب المفرد عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قـال رسول الله ﷺ : «الشعر بمنزلـة الكلام حسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام»(٢١) .

وأصل ذلك كله في الكتاب الكريم في قول الحق سبحانه :

﴿لا يحب الله الجهر بـالسوء من القول إلا من ظلم وكـان الله سميعاً عليماً﴾(٢٢) .

فالمسلم الحق شاعراً كان أو غير شاعـر لا يجهر بالسوء من القول ، ولا يجنح بالكلمة إلى الشر والعدوان ، وهـو على وعي بمغزى المثل الذي ضربه الحق سبحانه للكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة ، والفارق بينهما بعيد جداً ، مع أن كلا منهما مكون من حروف وأصوات ومقاطع ، لكن الذي يجعل هذه طيبة وتلك خبيثـة ماوراء الكلمة من اعتقاد ومـا ترمي إليه من هدف .

---

(١٩) الأدب المفرد البخاري حديث رقم ٨٥٦ . (٢٠) الأدب المفرد حديث رقم ٨٦٦ .
(٢١) الأدب المفرد حديث رقم ٨٦٥ . (٢٢) سورة النساء ١٤٧ .

لا استثناء للشعر :

فكيف يزعم الزاعمون ان الشعر مستثنى من الحكم الإسلامي على الكلمة ، وان الشاعر يمكن أن ينال المجد في مجاله الشعري مع كفره أو فسقه أو عدوانه ، بحجة ان المسلمين مازالوا يرددون الشعر الجاهلي وهو نتاج كفرة مشركين ، وشعر الزنادقة والمجّان والخلفاء في العصر العباسي ولا يخرجونهم من ديوان الشعراء !

إن في هذا القول خلطاً ومغالطة لابد من الاحتراز عنهما ، فنحن نروي الشعر الجاهلي استشهاداً على اللغة ، لا إعجاباً بمضمون ولا رضا عما يحويه من عقائد فاسدة أو مسالك مردية .

وفي هذا الشعر الجاهلي مايتضمن حكماً وتجارب صادقة ، مما تهدي إليه الفطرة ويستحسنه العقل ولا يعارض التوجيه الإسلامي ولا يناقض نظرة الإسلام إلى الحياة ، كهذا البيت الذي شهد له النبي ﷺ فيما صح عنه أنه أصدق كلمة قالها شاعر :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل
وكل نعيم لا محالة زائل

وبيت طرفة بن العبد الذي تمثل النبي ﷺ بشطر منه :

ويأتيك بالأخبار من لم تزود

ولهذا قال ﷺ «إن من الشعر حكمة» ولم يقل إن الشعر حكمة ، لأن الشعر كله ليس من هذا النمط الصادر عن روية وتفكير المعبر عن خبرة وتجربة .

السمة الأولى للأدب الإسلامي :

ومن هنا فإن السّمة الأولى التي يتميز بها الأدب الإسلامي بداهة هي التزامه بعقيدة الإسلام ورؤيته للكون من خلال منظار الإسلام .

فالأديب المسلم حقاً هو الذي يجدد صلاته بالكون والحياة بحدود الإسلام ، فينظر إلى الكون نظرة إيمانية ترى فيه صنعة صانع مبدع حكيم ، فيقرأ آيات القدرة في كل ما تقع عليه عيناه ، ويستجلي دلائل الوحدانية في كل مايصوره ، ويفسر الظواهر والأحداث بمقتضى العقيدة التي اطمأن إليها قلبه . .

وهو يتعامل مع الحياة والأحياء بهذا المقياس . . ولا تخرجه عنه رهبة ولا رغبة . .

غير أن هذا الالتزام بالعقيدة والحقيقة والأخلاق الإسلامية لا يجعل الأدباء المسلمين نمطاً واحداً في التعبير والتصوير ، ولا يجعل عملهم مجرد النسخ ، كما زعم «أدونيس» ومن على شاكلته ممن يكرهون ارتباط الأدب بعقيدة الإسلام ، ويرون في ذلك الارتباط قضاء على الأدب وموتاً لوجدان الشاعر . .

إن هذا زعم مغرض بعيد عن الحقيقة التاريخية والواقعية . . ولو كان هذا الزعم صحيحاً لكفى الإسلام شاعرٌ واحد . . أو كاتب واحد . . مادام عمل الأديب المسلم كما يزعم هؤلاء أن يأخذ ما أعطي وان ينسخ ويصوغ . . إن الحقيقة واحدة . . ولكن التعبير عنها يخرج من خلال تصور الشاعر أو الكاتب ورؤيته لتلك الحقيقة . .

وليس ذلك في أمر العقيدة فحسب . . بل إنه يسري في صلة الأديب عامة والشاعر خاصة بالكون والحياة . .

ولنأخذ مثلاً الوصف . . فالطبيعة التي يصورها الشاعر واحدة . . كلحظة الشروق أو الغروب وجمال الزهر وأمواج البحر . . فهل يجيء تعبير الشعراء عن انفعالهم بهذه الطبيعة على نمط واحد؟!

وكذلك نظرتهم إلى المرأة ، وهو الموضوع الشائع المبتذل في كل

الآداب وكل العصور . . فهل يغني قول واحد منهم في هذا الموضوع عن قول الآخرين . .

زعم باطل :

إن الـزعم بأن التزام الأديب المسلم بعقيـدة الإسلام يحول بينـه وبين الابداع ، ويهبه مضمـوناً لا يحيد عنه . . هو زعم بـاطل لا حجة له . . وإلا فلننظر إلى بداية صلة الشعر العربي بالإسلام في عصر النبوة ، ونشأة الغرض الإسـلامي في ذلك الشعر . . فهل نجـد شعراء الصحابـة نمطاً واحـداً . . مع ان الغـرض واحد . . والـروح التي سرت في ذلك الشعـر روح واحدة ؟

إن شعر عبدالله بن رواحة . . يتميـز عن شعر حسان بن ثابت . . وحسان يتميـز عن كعب بن مالك . . وإن كـانت تلك الفترة لا تصلح مقياسـاً لتبين الأثر الذي أحدثـه الإسلام في الشعر . . فقد كـان لابد ان تمضي فترة تتيح للشـاعـر عمق النظـرة ، وتعزلـه عن المأثـور من المعـاني والصور الجاهلية ، وتمكنه من التأثر بالمعاني والأساليب القرآنية وبجوامع الكلم التي أوتيها محمد ﷺ .

مثلان للمخضرمين :

ولن نسوق شواهد من أشعار هـؤلاء الثلاثة من أصحاب رسول الله ﷺ لشهـرتها ، لكنني سأضرب المثل لإبداع الشـاعر المسلم الملتـزم ، في بداية صلة الإسلام بالشعر بشاعرين مخضرمين ، عاشا في الجاهلية وادركا الإسـلام ، وأسلما ، أولهما «حميد بن ثـور الهلالي ، وثانيهما «العجـاج بن رؤبة» .

١ - أما حميد بن ثور الهلالي :

فقد أدرك زمن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وتوفى على الأرجح - في أيام عثمان بن عفان - رضي الله عنه - ويعد من فحول الشعراء المجيدين .

قال عنه الأصمعي :

العظماء من شعراء العرب في الإسلام أربعة : راعي الإبل النميري ، وتميم بن مقبل ، وابن أحمر الباهلي ، وحميد الهلالي(٢٣) .

ولاشك أنه أسلم فحسن إسلامه ، وهو معدود من الصحابة ، وقد ترجمت له الكتب المؤلفة في الصحابة كأسد الغابة ، والإصابة ، والاستيعاب .

قال ابن الأثير في ترجمته :

«شهد حنيناً مع الكفار ، ثم أسلم ، قدم على النبي - ﷺ - وأنشده قصيدة مطلعها :

أضحى فؤادي من سليمى مقصداً

إن خطأً منها ، وإن تعُمدَا

وفي آخرها :

حتى أرانا ربنا محمدا ... يتلو من الله كتاباً مرشدا

فلم نكذِّب، وخررنا سُجَّدا ... نعطي الزكاة، ونقيم المسجدا

وروى الزبير بن بكار :

---

(٢٣) مقدمة ديوانه تحقيق عبدالعزيز الميمني ط دار الكتب المصرية سنة ١٣٧١هـ - ١٩٥١م.

ان حميداً قدم على النبي - ﷺ - وأنشده :

فلا يبعد الله الشباب وقولنا
إذا ماصبونا صبوةً سنتوب

ليالي أبصار الغواني ، وسمعها
إليّ ، وإذ ريحٌ لهن جنوبُ

وإذ ما يقول الناس شيء مُعَوَّلٌ
علينا ، وإذْ غُصْن الشباب رطيب(٢٤)

فمن الواضح ، أنه حين أسلم كان مايزال متأثراً بنزعة الشاعر الجاهلي ، ونظرته إلى الحياة ، وقد أقلع بعد الإسلام عن هذا النمط ، وخاصة في عهد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - الذي حظر على الشعراء التشبيبَ بالنساء .

ولكن حميداً كان يرى غزله عفيفاً ، فكيف يؤاخذ عليه؟ !

ولهذا قال :

فهل أنا إنْ علَّلْت نفسي بسرحة
من السَّرْح مسدودٌ عليَّ طريقُ

والسرحة أصلها شجرة من العظام لا شوك لها ، والعرب تكني بها عن المرأة . وجاء في ديوانه :

لما حظر عمر رضي الله عنه ، أو غيره من الخلفاء ذكر النساء قال حميد :

تجرم أهلوها لأن كنت مشعراً
جنوناً بها ، ياطول هذا التجرُّم

ومالي من ذنب إليهم علمته
سوى أنني قد قلت : ياسرحة اسلمي

(٢٤) أسد الغابة ٢/ ٥٤ . طبعة مصورة بدار احياء التراث العربي - بيروت .

بلى فاسلمي ، ثم اسلمي ، ثمت اسلمي

ثلاث تحيـــات وإن لم تـكـلمـــي(٢٥)

المهم أن التزام حميد بن ثور بعد إسلامه بعقيدة الإسلام وأخلاقه ، لم يجعله صورة من حسان بن ثابت ، أو عبدالله بن رواحة ، بل ظهر هذا الالتزام في نطاق ذاتيته الإبداعية ، بل وفي الموضوعات العاطفية ، التي قد يظن أنها مجال لـلإنحراف عن قيم الإسلام ، ففي قصيدته الميمية التي قاربت مائة وعشرين بيتاً ، والتي قالها في أواخر عمره مايدل على التزامه بعقيدة الإسلام وأخلاقه دون أن يفقد رؤيته الشاعرية ، وحريته الفنية .

وقد بدأها بالنسيب العفيف الذي لا حرج فيه إذ يقول :

سلِ الرَّبْع أني يممت أمُّ ســـالمٍ

وهل عـــادة للـربع أن يتكلما؟

وقولا لها ياحبذا أنت هـل بدا لها

أو أرادت بعـــدنا أن تأيمـــا(٢٦)

ومما يـدل على أن هـذه القصيـدة من أواخـر شعـره بعـد أن أدرك الإسلام قوله فيها :

أرى بصري قد رابني بعد جـدَّة

وحـسبك داءً أن تصـحَّ وتسلما

ولا يلبثُ العـصران يومـاً ، وليلة

إذا طـلبـا ان يدركا مـاتيمَّما

ومع ان موضـوع القصيدة عاطفي يتسـم بالعفاف ويخلـو من كلمة فحش أو جهر بسوء فقد ظهرت فيه سمات الاعتقاد الإسلامي ، والتوجيه

(٢٥) ديوانه ص ١٣٣ .

(٢٦) ديوانه ص ٧ .

الخلقي للإسلام فلنستمع إليه يقول مخاطباً صاحبيه :

خليليَّ إنِّي مُشتكٍ ما أصابني
لتستيقنا ما قد لقيتُ، وتعْلَما

أمليكما ان الأمانة مَنْ يَخُنْ
بها يحتمل يوماً من الله مأثَمَا

فلا تُفشِيا سراً، ولا تَخْذُلا أخا
أبثَّكما منه الحديثَ المكتَّمَا

وفيها يقول أيضاً :

فما منكم إلا رأيناه دانيا
إلينا بحمد الله في العين مسلما

ويرجع الصاحبان إلى الشاعر ، ولم يبلغا رسالته الشفهية العفيفة التي بينها بقوله :

وقولا لها ما تأمرين بصاحب
لنا قد تركت القلب منه متيَّما

أبيني لنا، إنا رحلنا مطيَّنا
إليك وما نرجوه إلا تلوُّمَا

أي لا نطمع في بقائه حيا إلا يسيرا .

فجاءا، ولما يقضيا لي حاجة
إلي ولمَّا يبرما الأمر مبرما

ألم تعلما أني مصابٌ فتذكُرا
بلائي إذا ما جُرْف قومٍ تهدَّمَا

وحسبنا في هذه القصيدة الطويلة، روعتها الفنية، وبراءتها من سمات الجاهلية الغليظة في النظرة إلى المرأة والتفحش في الغزل، فهذا

هوى عـذري عفيف، لا يفسد الخلق ولا يثير الغرائز، وماظهـر فيها من رقة إحساس، وتعاطف مع مشاعر الطير في أبياته التي بدأها بقوله:

وماهاج هذا الشـوقَ إلا حمـامةٌ
دعـت سـاق حـرٌ، وترنُّما

فأوفَتْ على غصن ضُحَيًّا فلم تَدعْ
لبـاكيةٍ في شجـوها متـلوَّما

مطوَّقة خـطباء تصـْدح كـلما
دنا الصيفُ، وانجال الربيع فأنجما

عجـبت لها أنَّى يكـون غـناؤها
فصيحـاً ولم تفـغر بمنطقهـا فما

فـلم أر محـزوناً له مثـل صوتها
ولا عـربياً شـاقه صـوتُ أعجـما

كمثـلي إذا اغنت، ولكـن صوتها
له عـولة لو يَفـْهم العـودُ أرزمـا

أي لو فهمه البعير لحَنَّ.

أول قصيدة في الشعر العربي ترسم صورة لنفسية الحيوان!

إن هـذه نغمـة جـديـدة على الأدب العـربي، تأثـر فيهـا الشعـراء المسلمون بـالرحمة التـي يوجـه إليها الإسـلام تجاه الكائنـات الحية كقـوله تعالى: ﴿**ومـا من دابـة في الأرض، ولا طـائر يطير بجنـاحيـه إلا أمم أمثالكم**﴾ (سورة الأنعام ٣٨).

فهو يشبه غناء الحمامة بغنـائه، ويجعل لغتها، وإن كانت أعجمية

مفهومة لـديه ، وهذا هو مجال الإبداع أمـام الشاعر المسلم ، حين يتأمل الكـون ، ويتعاطف مع الكـائنـات بما أمده الإسـلام من روح إنسانيـة ، تقدر وترى فيها مجالي للتعرف على آيات الله ، وهذا مايفسر لنا أن حميد بن ثور الهلالي هـو نفسه صـاحب أول قصيـدة في الأدب العربي فيهـا محاولة للإقتراب من حيـوان وحشي ورسم صورة نفسية له ، والتعـرف على أبعاد حياته تخالف ما جرى عليه الشعر الجاهلي في تصويره لأوابد الحيوان .

تلك هي قصيدتـه في وصف الذئب التي ذهـب بعض أبيـاتها مثلاً كقوله :

ينـــام بإحـــدى مقلتيـــه ويتـــقي
بأخرى المنايا فهـــو يقظان هاجـــع

وكأنما يعـذر حميد بن ثـور الـذئب ويرى لـه حقاً في الحصـول على الطعام ، ويعجب لصبره ، وحيلته إذ يقول :

هو البعل(٢٦) الداني من الناس كالذي
له صحـــبة ، وهـــو العـــدو المنازعُ

ترى طـــرفيـــه يعســـلان كلاهمـــا
كما اهـــتز عـــود الســاسم المتتـابعُ

إذا خــــاف جـــوراً مـــن عدوٍّ رمت به
مخـالبـــه ، والجـــانب المتـــواضـــع

وإن بـــات وحـــشاً ليلةً لم يضق بها
ذرعاً ، ولم يصـــبح لها ، وهو خاضع

وإن حـــذرت أرضٌ عـــليـــه فإنــه
بغـــرة أخـــرى طيـــب النفس قانـــع

(٢٦) البعل : البرم بأمره أو الخائف الذي لا يدري ما يفعل والعقيدة في ديوان ص١٠٣ .

إذا نال مـن بهـم البخيـلة غــرة

على غفـلة مما يرى، وهـو طالـع

تلـوم ولـو كان ابنهـا فـرحـت به

إذا هبَّ أرواح الشتــاء الزعـازعُ

إذا ما غــدا يومــاً رأيت غــيابة

من الطير ينظرن الذي هو صـانعُ

لقد نقـل حميد فعل الذئب إلى مجال فعـل الإنسان ، فهو صـاحب لهم على الرغم أنـه عدو منازع ، لأن رزقه يرتبط بما لـديهم من بهم ، وهو يصبر على الجوع ، ولا يذل له .

وهذه راعيـة تلوم الـذئب أن نال من بهمها غـرة وعدا على احـداها وتنسى انه لو كان ابنها في مقام الذئب لفرحت به .

أي لـو استطاع ابنهـا تحصيل رزقـه بمثل هـذه المبادرة من الـذئب لأعجبت به أيما اعجاب !

وتلك روح جديـدة في الأدب العربي اكتسبها من النظرة الإسـلامية للوجود . قوله تعالى :

﴿ومـا من دابـة في الأرض إلا على الله رزقهـا ويعلم مستقـرهـا ومستودعها كلٌّ في كتاب مبين﴾ (سورة هود٦) .

ومن هنـا فإن حميـدٌ بن ثـور قـد رأى في عمل الـذئب في اقتنـاص الفريسة رزقاً لنوع آخر من المخلـوقات هي جوارح الطير ، التي تنتظر ما يخلفه الذئب من الفريسة بعد شبعه منها ، فيقول :

إذا مـا غــدا يومـاً رأيت غيـابةً

من الطير ينـظرن الذي هو صانعٌ

وهكذا يتضح أن تأثر الشاعر بـالعقيدة الإسلامية لا يعني أنه يردد التسابيـح والمواعظ ، بل إنه ينظـر إلى الوجـود نظراً فسيحـاً بالنـور الذي اقتبسه من تلك العقيدة .

ذو الرمة .. ومشاعر الظبية!

و إذا كان لنـا ان نستطرد في هـذا الموضوع لنـدرك السمة الإنسـانية التي صنعهـا الإسلام في نفـوس شعـرائه تجاه التأمل في الحيـوان باعتبـاره كائناً مستحقاً للعطف ، والرفق والرحمة . .

فإننا نكتفي بالإشارة إلى تميز الشاعـر الأموي «ذي الرُّمَّة» في لوحاته التي صـور فيهـا مشـاهـد من حيـاة حيـوان الصحـراء سكب فيهـا أرق العـواطف وأحناهـا حتى ليفهم أحـاسيس الحيـوان ، ويصغى لمشاعـره خارجاً بـذلك عن نطاق المنفعة والرهبة في وصف الحيـوان - وهو موقف الشـاعـر الجاهلي - إلى مجال الاحساس بـالجمال وتأمل آيـات القـدرة في مشاهد الطبيعة الحية .

لنستمع إليه إذ يصور حنان الظبية على ولدها ، فيقول :

إذا استودعته ، صفصفـا أو صريمة
تنحت ، ونصَّتْ جيدها للمناظر(٢٧)

حـــذارا على وسنان يصرعه الكـــرى
بكلِ مقـــيل مـن ضـــــفافٍ فـواترِ

وتهـــجــره إلا اختـــلاســـاً بطرفهـــا
وكم من محـــب رهـبةً العيـن هـاجِرِ

حـذار المــــنايا رهـبةً أن يفتنـــهـا
به وهـــــي إلا ذاك أضـــعف ناصِر

---

(٢٧) الصفصف : الفلاة لا نبات فيهـا والصريمة : القطعـة من الـرمل ، ونصت جيـدها : رفعتـه . والأبيات في ديوانه ص٢٨٦ (ط أوربا) .

فقد جعلنا ذو الرمة نحس بما يساور الظبية من قلق على ولدها، وشفق عليه من المنايا، ونتصور المفارقة بين حبها له وحنانها عليه، وبين اضطرارها لهجره حتى لا تدل عليه السِّبَاع، فهي موزعة العاطفة ممزقة الشعور، فنرثى لها ونتعاطف نحوها . .

وتلك نغمة جديدة في تصوير الحيوان، تعبر عن نظرة جديدة إلى الحيوان طرأت على الشعر العربي، بعيدة عن المشاعر الغليظة الجافية التي لم تكن ترى في الحيوان إلا أداة لهو أو مصدر متعة . .

ارتقاء بالمشاعر نحو الحيوان :

أما الشاعر المسلم فقد تأثر بما أفاضه عليه دينه من رحمة يرحم بها كل ذي كبد رطبة، فارتقى بمشاعره نحو الحيوان إلى درجة سامية من الشفافية والنقاء . .

ولا شك ان الإسلام بمبادئه وعواطفه كان سبباً في هذا التحول، فالرحمة عاطفة يفيض بها قلب المسلم ويتجه بها إلى كل ما حوله . .

وفي الأحاديث النبوية تصوير لما ينبغي للمسلم من رحمة بالحيوان، كما في الحديث الذي أخرجه ابوداود في سننه عن عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود عن أبيه رضي الله عنه قال :

«كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فرأينا حمَّرة - وهي طائر يشبه العصفور معها فرخان لها فأخذناهما، فجاءت الحمرة تعرّش - أي تحوم حولهم - فلما جاء رسول الله ﷺ قال : «**مَنْ فجَع هذه بولدها؟! ردوا ولدها إليها**» ورأى قرية نمل قد أحرقناها فقال : «**من أحرق هذه**» قلنا : نحن يا رسول الله . قال : «**إنه لا ينبغي أن يعذِّب بالنار إلا رب النار**»(٢٨)

(٢٨) تيسير الوصول ٢/ ١١٥ .

وفي الحديث الصحيح الذي رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه : «عذبت امرأةٌ في هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار ، لاهي أطعمتها وسقتها حبستها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض»(٢٩) .

وفي حديث الرجل الذي سقى الكلب فغفر الله له - وهو في الصحيح - سأل الصحابة رسول الله ﷺ فقالوا :

وإن لنا في هذه البهائم لأجرا؟ فقال : «في كل كبد رطبة أجر» . وهذا في البهائم المحترمة غير المؤذية .

ونؤكد هنا أن مثل هذا التصوير المفعم بالرقة لمشاعر الحيوان . . يعد من الأدب الإسلامي لا محالة ، إذ لا مصدر له إلا الروح الجديدة التي استقاها الشاعر العربي من إيمانه بعقائد الإسلام وتأثره بتوجيهه في الحياة . .

وفي هذا أبلغ الرد على شبهة ذلك الذي ادعى أن طريق الإبداع أمام الشاعر المسلم الملتزم مسدود وأنه مجرد ناسخ يأخذ مايعطي ويكرر ما لُقِّن !

وإن تأمل الأثر الإسلامي في تناول موضوع الحيوانّ وحده ، ليحتاج إلى تتبع واستقصاء خلال العصور ، ليتضح لنا بعد ذلك مدى الإبداع الذي حققه الشعراء المسلمون في تناولهم لهذا الموضوع ذي الصدى في الآداب القديمة والحديثة . .

أبيات من الحكمة لحميد :

ونعود إلى شاعرنا المخضرم حُمَيْد بن ثور لنجد له قطعاً من أبيات

(٢٩) صحيح مسلم ٢/ ٢٩٨ (ط عيسى الحلبي) .

الحكمة تتضح فيها النظرة الإسلامية إلى الكون والحياة ، مع مافيها من تصوير رائع وألفاظ موحية بالمعاني العديد الواسعة كقوله :

وكائن لقينــا مِنْ نعيمِ ولــذةٍ
وأعـجـبنا المصـطافُ والمتربَّعُ
وقلنا لعــل الماء يربـو فنقتَنِي
وعَلَّ غلامـاً ناشـئاً يترعـرعُ
أمـانيَّ عـامٍ بعدَ عـامٍ تعلَّلَتْ
بأمثـالها بالنـاس عـادٌ وتُبَّعُ
ولكنها الدنيـا غَرُور ولا تـرى
لهـا لــذةً إلا تَبِيــد وتُنْزَعُ
فلله مـا فــوق السماء وتحـتها
له المال يعطي من يشـاء ويمنع

ونستطيع أن نرد معاني هذه الأبيات الحكيمة إلى أصولها الإسلامية من الكتاب والسنة ، فغرور الحياة الدنيا للناس معنى من المعاني القرآنية كقوله تعالى : ﴿وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾(٣١) .

وقوله سبحانه : ﴿فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور﴾(٣٢) .

ولكن الشاعر لم يقتبس الجملة القرآنية بنصها . . لكنه تأمل الحياة والتاريخ على ضوئها . . فصور لنا ما لقيه من نعيم ولذة . . وما أعجبه في منزله أيام الصيف ومنزله أيام الربيع . . وصور لنا أمنياته في الثراء

(٣١) سورة آل عمران آية رقم ١٨٥ .
(٣٢) سورة لقمان آية ٣٣ .

والنماء تصويراً فطرياً يهز المشاعر ويستولى على الألباب . .

وقلنـــا لعـــل المـــاء يربو فنقْتنِي

وعَلَّ غـــلاماً ناشئـــاً يترعـــرعُ

وكيف تمادت هذه الآمـال على مر الأعـوام . . لكنها تنتهي إلى الفنـاء الذي هـو غايـة كل موجـود : ﴿كلُّ مَنْ عليها فـان . ويبقى وَجْه ربك ذو الجلال والإكرام﴾(٣٣) .

ويأتي الشـاعـر بصـورة جديـدة في تأكيـد ملك الله للكـون ومافيه إذ يقول :

فلله مــا فــوق السماء وتحتـــهـا

له المـــال يعـــطي من يشاء وَيمْنـعُ

فليس ذلك من التعبير القــرآني ولا النبـوي ، لكن الإيقـاع الشعري جعـل الشاعر يضـع المضمون الـذي تعلمه من عقيـدته الإسلامية في صيغـة جديدة تناسب إيقاع قصيـدته . . ولا حرج عليه في ذلك . . فهو ليس مطالباً بالنسخ والنقل الحرفي كما يزعم الزاعمون !

الراجز المسلم :

أما الشـاعر المخضرم الثـاني الذي نجعله مثـلاً آخر للتأثـر بعقيدة الإسـلام وتوجـهـه الخلقي ونظرتـه إلى الحيـاة ، فهو الـراجز العجـاج بن رؤبة . . الذي ولد في الجاهلية ونشأ فيها نشأته الأولى وقال فيها أبياتاً من رجزه . وليس له ذكر في كتب الصحابة وإن كانت المصادر تذكر أنه لقي أبا هريرة رضي الله عنه وروى عنه(٣٤) .

---

(٣٣) سورة الرحمن آية ٢٧ .

(٣٤) التاريخ الكبير للبخاري ٤/ ٩٧١ .

قال ابن قتيبة : قال العجاج قال لي أبوهريرة :

ممن أنت ؟ قلت : من أهل العراق . .

وروى عنه أنه قال : وردت المدينة فأتيت أباهريرة فقلت : ياصاحب رسول الله ، إني رجل أقول من هذا الرجز شيئاً ، فهل ترى عليَّ فيه حرجاً . فقال اسمعني بعض ماقلت : قال فأنشدته :

طاف الخيالان فهاجا سقماً

خيال تُكْنَى وخيال تَكْتُمَا

فقال : قد كان رسول الله ﷺ يُنْشَد مثال هذا فلا يرى بأساً(٣٥) .

وروى ابن قتيبة أن سليمان بن عبدالملك قال للعجاج :

إنك لا تحسن الهجاء ! فقال : إن لنا أحلاماً تمنعنا من أن نظلم وحسابا تمنعنا من أن نُظْلَم ! وهل رأيت بانياً لا يحسن أن يَهْدم؟ !(٣٦) .

فإذا تأملنا ديوان العجاج فإننا نجد فيه رؤية إسلامية واضحة ، وتأدباً شعرياً بآداب الإسلام . .

رؤية لتاريخ الإسلام :

قد جبر الدين الإله فجبر

وعوَّر الرحمن من ولَّى العوَرْ

فالحمد لله الذي أعطى الخَبَرْ

موالى الحقِّ إن المولى شكَرْ

عَهْدَ نبيٍّ ما عفَا وما دثَرْ

وعهد صدِّيق رأى بِرًّا فبَرّ

وعَهْدَ عثمانَ وعَهْداً مِنْ عُمَرْ

(٣٥) مقدمة ديوان العجاج تحقيق الدكتور عزة حسن ص ٦ - ٧ .

(٣٦) الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٥٧٣ الطبعة الأولى تحقيق أحمد شاكر .

وعهد إخوان هُمُ كانوا الوَزَرْ

وعصبةِ النبي إذ خافوا الحصَرْ

شدُّوا له سلطانه حتى اقتسَرْ

بالقَتْل أقواماً أسَرْ

تحت التي اختار له الله الشَّجَرْ

محمداً واختاره الله الخِيَرْ

فما ونى محمدٌ مذ أنْ عفَرْ

له الإله ما مضى وما غَبَرْ

أنْ أظهر الدِّين به حتى ظهر(٣٧)

إن القالب الشعري الذي برع فيه العجاج بن رؤية ، وهو الرجز ، قد لا يتيح للشاعر الأناة وسعة الرؤية التي يجدها صاحب القصيدة في أوزانه المختلفة و إيقاعاته المتنوعة . . لكن رؤبة استطاع أن يَرُوض الرجز على التعبير عن معانيه وتصوير روءاه . . فأطال فيه النفس حتى ينعت بعض أراجيزه على المائة والثمانين في قافية واحدة!

وتلك سمة من سمات الإبداع في الشكل قدر عليها الشاعر المسلم إلى جانب إبداعه في صوره وروءاه . .

سلوك مثالي :

ورؤية هو الذي يقول في هرمه :

يارب إذْ شَدَدْتني عِقَالاً

ولو تشاء أسْرَع انحلالا

(٣٧) ديوانه بشرح الأصمعي تحقيق الدكتور عزة حسن ٥ - ٨ .

إن كنتَ قــد غيرت حــالي حــالا

مِنْ كِبَرٍ قـــد أوْهن الأوصــــالاَ

فلـم أكن أستنطـق العُــــذَّالاَ

من أن يـــروني للخنـى قـــوالاً

ولم أكــن لجارتي غَـــــوَّالاَ

ولم أكن في جنبهـــا جهَّـــالاَ

ولم أكن أُخَــــادع الضُّـــلاَّلاَ

ولا لما حــــرَّمْتَـــه أكَّـــالا

ولا لبيـت جـــارتي خَتَّـــالا

بَعْـــدَ المَنَــامِ أبتغـي الأدغـــالا

تَبغِّيــاً مـــا ليس لي حَـــلاَلاَ

علَّ الإلـــهَ البــاعثَ الأثقـــالا

يُعْقبني مـن جنـــة تَطْـــلاَلاَ

وعِنَبــاً يســـاقط الأهْـــدَالا

وقـد يثيـبُ الصـابـرَ النَّـوَالا(٣٨)

فها هـو رؤبة على قـدر ما اتسع لـه إيقاعه الشعـري وهو الـرجز ، يقدم لنا صورة لسلوكه المثالي على هـدى الإسلام ، وكأنما هو يفاخر به في شيخوخته ويـرجو به حسن الجزاء من ربه . . فهـو عفيف اللسان كريم المنطق لا يعرف الخنافي قولـه . . وهو محافظ على حرمات الجوار لا يظلم جيرانه ولا يطمع فيما لا يحل لـه . . وهو أيضاً طاهر لا يأكـل حراماً . . وذلك كله ابتغاء الثواب وطمعاً في الجنة .

---

(٣٨) المصدر السابق ١٧٣ - ١٧٥ .

● ونلاحظ أن العجاج قد عبر عن هذا المضمون الإعتقادي الإسلامي بطريقته الفنية الملائمة فقد صور هرمه الذي أثقله بأنه كشد الوثاق . . ولو شاء الله لأسرع هذا القيد في الإنحلال وقد صور إيمانه بالبعث في صورة استقاها من قوله سبحانه : ﴿وأخرجت الأرض اثقالها﴾ إذ قال :

عَـلَّ الإلـهَ الباعـثَ الأثـقالاَ

وصور رؤيته للنعيم الحسي في الجنة بصورة عفوية لا تكلف فيها إذ قال :

يُعْقِـبني مـن جـنةٍ تَظْـلالا

وعنبـاً يسـاقط الأهـدالا . .

وكل هذه معان وصور لا عَهْد للشاعر الجاهلي بها وماكان لها أن تظهر في الشعر العربي إلا بفضل الإسلام .

تأثر بالقرآن :

ويتضح يقين العجاج بعقيدة الإسلام في صور كثيرة من شعره في قصائد قد يبدأها بالغزل كتلك التي قال فيها :

يـا ذِكْـرة ذكـرتُ لَيْلَى بعـدما

جـال الفـؤاد جـولـةً واستَهْـزَمـا

فإنـه لا يلبث بعدهـا أن يتحـدث بنعمة الله عليـه ويقرر اعتقـاده وسلوكه فيقول :

فـالحمـد لله الـذي قـد أنعما

على أبي الشعثـاء نُعْمَى ثم مـا

بـــــدَّلها إلا بـإحســـــان كما

أتـــــمَّ نُعماه على مَـــــنْ أسْلَمَا

لا أشتـم المرءَ الكـــــريـم المُسْلِما

ولا أرى شَتْـــــم البريءُ مَغْنَمَا

ولا ابـــن عمـــي أن أراه مُفْحَمَا

وجــارةَ البيـت أراهـــا محرمـــا

كما قضـــــاهـــــا الله إلا أنما

مكـــارمُ السعـى لِمَنْ تكــرَّمَـــا

مخافــــــــــةَ الله وعِلْماً أنما

يَجْزي المجازي عاملاً مـا قَدَّمَا(٣٩)

فهنـا يتضح تأثره بـالمعـاني والألفاظ القـرآنيـة . . كتبديل النعمـة وإتمامها . . وقضاء الله بمعنى أمره لعباده . .

ولا نستطيع في هـذا المجال ان نستقصي جـوانب التأثير الإسـلامي الواضح في رجز العَجَّاج ، فذلك يحتاج إلى بحث مفرد ، ولكننا نشير إلى وفرة الشواهد في ديوانه التي تدل على تحوله الكامل من النظرة الجاهلية إلى نظرة الإسلام ، وأن تـأثره بالمعاني والصور القـرآنية تأثر بالـغ ، كما أنه قد تأثر بالشكل واللفظ والنسق الذي استفاده من القرآن . .

تجربة ذاتية :

وهذه قصيدة طويلة له ، بدأها بالحمد لله ، تأثراً بها في الكتاب من بدء لبعض السـور بذلك الحمد ، كقولـه تعالى : ﴿الحمد لله الـذي أنزل

(٣٩) ديوانه ٢٦١ - ٢٦٣ .

على عبده الكتاب ولم يجعل له عِوجا﴾(٤٠) وقوله سبحانه :

﴿الحمد لله فاطر السموات والأرض﴾(٤١) وتأثرا بها في السنة النبوية من افتتاح الخطب بالحمد ، وهو ركن من أركان خطبة الجمعة . وفي هذه القصيدة تصوير لتجربة قاسية عاشها الشاعر ، حين اشتد به المرض وأوشك على الهلاك ، وأصبح قومه يحفرون حفرته ، كأنهم نفضوا أيديهم منه ، ثم نجاه الله وعافاه! وذلك إذ يقول :

وليلةٍ من الليالي مرَّتِ
بكابدٍ كابَدْتُها وجَرَّتِ
كَلكَلها ، لولا الإلهُ ضَرَّتِ
في ظُلَمٍ أزَلَّها فزَلَّتِ
عنِّي ولولا اللهُ ما تجَلَّتِ
بِتُّ لها يقظانَ واقسأنَّتِ(٤٢)
حتى انقضى قضاؤها فأدَّتِ
إلى الإله خَلْقه إذْ طَمَّتِ
غاشيةُ الناس التي تغَشَّتِ
يَوْم يَرى المرتابُ أنْ قد حُقَّتِ
إذا رأى متن السماء انقدَّتِ
وَحْيَ الإله ، والبلادَ رُجَّتِ . .

ولا يخفى ما في هذه الصور من رجوع إلى القرآن ، ومحاولة لاستيعاب الصورة القرآنية والتعبير عنها وفق إمكان السياق الشعري ، فهو يعبر عن القيامة بالغاشية ، وهو اسم من أسمائها في القرآن ، وعن

(٤٠) سورة الكهف ١ . (٤١) سورة فاطر ١ . (٤٢) اقسأنت : اشتدت .

انشقاق السماء بِقَدِّ مَتْنِها ، وعن زلزلة الأرض بَرَجِّ البلاد ، وكلها تتصل بالإيمان بالغيب الذي أخبر بـه القرآن . ثم نأتي إلى الجانب الذاتي في هذه القصيدة ، ويتضح فيـه إحساس العجّاج بسعة رحمة الله ولطفـه بعباده المؤمنين وذلك إذ يقول :

وليلـــة مـن الليـــالي مـــرت
بكـــابـد كـــابـدتها وجـــرت
كلكلهـــا لـــولا الإلـــه ضرت
في ظلـم أزلها فـــــزلـت
عنـي لـــولا الله مـــا تجلـت
بت لهايقظـــان واقســانَّت-أي اشتدت
إذا رجـــوت أن تضيء اسـودَّت
دون قدامى الصبح فارجحنَّت(١)
كـأنها نجـــومهـــا إذ ولَّـتِ
زورا تبـاري الغَـوْر إذ تـدلَّتِ
وهــو الـــذي أبْصَر ليـلاً لَمْعَتِي
بـالكف إذ أمسك بـالمصـوت(٢)
وحـالت الــلأوارُ دون نَشْغَتِي(٣)
على حَيـــازيمي وعضَّـت لَبَّتِي
وكُـرْبتـي وقـد تـدانَتْ كُــرْبَتِي !

(١) ارجحنت : ثقلت ورجحت . (٣) النشغة : الافاقة .
(٢) المصوت (بفتح الواو) : موضع الكلام والمصوِّت بكسر الواو: اللسان

وأخــــــذ الموتُ بِجَنْبي لِحْيَتِـي!

وسَبَـــــــلاتي وبجنبَـيْ لِمَّتي

أصبح قـومـي يَحْفـرون حُفْـرتِي

يـدعون بـاسمي وتناشـوا كُنْيَتِي !

فَسرَّ وُدَّادِي وســـــاء شُمَّتـي

إذ ردَّهـا بكيــده فـارتــدَّت!

إلى أمَـــارٍ وأمـــارٌ مُـــدَّتِ(٤)

دافــع عنّــي بِنُقَيْرٍ(٥) مَــوْتَتِي

بعـــد اللُّتَيَّــا واللتيـــا والتي

إذا عَلَتْهــــا أنفسٌ تــــردَّتِ

فـــارتـــاح ربِّي وأراد رحمتـي

ونعمـــــةً أتمَّهـــا فتمَّتِ

فـــردَّهـــا عنِّي وقـــد أعـــدَّتِ

أظفـــارهـــا ونـــابهَا وحَـــدَّتِ

فأسـاً ومِسْحـاة لنحت جبلتي(٦)

أو مـا أشـدَّ بَعْـدَمـا قـد شَـدَّتِ

لمَّا رأى أن ليس تُغْنِي عُــــدَّتِي

شيئـاً ولا تــرفـع جَنْبَي صَرْعَتِي

وكـــانـت الحيـــاة حيث حُبَّتِ

فقلت للحـوباء(٧) حين هَمَّتِ

(٤) الأمار : الوقت . (٥) نقير : موضع . (٦) الجبلة : الخلقة . (٧) الحوباء : النفس.

بأن تَخِفَّ جَـزعــاً . . أو خَفَّتِ :

هل أنــــا إلا رجلٌ مِـنْ أمَّتِي ؟!

أقضي كمِثْلِ بعضِ مـا قـد قَضَتِ

أو عظــة إنْ نفسُ حُـــرٌّ بلَّت(٨)

وليس في القصيدة غـرض آخر من مدح أو فخر أو غـزل . . فهي تصور تجربة ذاتيـة للشاعر عانـاها خلال مرضه . . نقف من صورها العجيبة الكثيرة الصادرة عن يقين الإيمان عند قوله :

وهـــو الـــذي أبصر ليلاً لَمْعَتـى

بالكـف إذ أُمْسِـكَ بالمصــوِّتِ

يريـد : لمعته بكفه في جوف الليـل حين يرفعها داعياً ربـه مستغيثاً برحمتـه . . وذلك حين عجز لسانه عـن الكلام من شدة مرضـه كما يدل عليه قولـه : إذ أمسك بالصوت . . كأن المرض قد أمسك لسـانه وحال بينـه وبين النطق بالـدعاء . . فـرفع كفيـه إلى السماء وهو مـوقن أن الحق سبحانه يرى إشارته بكفه ويستجيب لتضرعه الصامت . .

كما نشير إلى قوله :

هل أنا إلا رجل من أمتي !

لنتبين منـه ارتبـاط الشـاعـر بمعني الأمـة ووعيـه بأسـاس الإنتماء الإسلامي . . «إن هذه أمتكم أمة واحدة»

وهذا الإنتماء هـو مايريد المخـربون المعاصرون اقتـلاعه من الجذور بحجة ان غاية الشعر هي الشعر . .

ولا شأن له بالأمة ولا المجتمع ولا الحياة !

(٨) بلت : نجت .

والشواهد على صدق تأثر العجاج بالعقيدة والأخلاق الإسلامية في شعره نحتاج معها إلى صحبته في ديوانه كله ، وأنى لنا ذلك في هذا الحيز الضيق ، ونكتفي بهذا الشاهد الأخير على وعيه بتوجيه الإسلام للشاعر بالكف عن الهجاء الكاذب الفاحش إذ يقول في مطلع قطعة من أرجازه :

تـــالله لـــولا أن تَحُشَّ الطُّبَّخُ[9]
بي الجحيـم .. حين لا مُسْتَصرَخُ
في دُخَّلِ النـــار وقـــد تسلَّخـــوا
لَعَلِـم الجُهَّـــــال أنّي مِفْنَـخُ[10]

فالـذي يمنعه من الغلبة في الهجـاء والرد على الشعراء هو خـوفه أن يكون وقود النار يوم القيامة! وكفى بذلك التزاماً بآداب الإسلام!

(٩) الحش ايقاد النار . والطبخ : جمع طابخ يريد من يسعرون النار .
(١٠) المفنخ : الذي يغلب خصمه أسوأ الغلبة !

شعراء أخلصوا شعرهم للإسلام :

● إذا كان بعض ما يقال عن شاعرين مخضرمين ظهر أثر الإسلام في معانيهما وصورهما . . . ولم يفقدا خاصية الإبداع والتفرد . . ولم يكونا صورة منسوخة لمضمون واحد يرددانه دون وعي ، كما يدعي المفترون ، فما بالنا بالحديث عن الشعراء الذين ولدوا ونشأوا في ظلال الإسلام ، بعد أن أصبح الإسلام هو أساس الحياة وموجه المجتمع إلى غاياته .

● انني أجزم بأننا لو رجعنا إلى شعراء العصر الأموى لوجدنا لدى الكثير منهم صوراً معجبة من التأثير العميق بالإسلام وصدق التعبير عن عقيدته وأخلاقه . . . رغم ما يدعيه المغرضون من أن الشعر العربي ارتد إلى جاهليته في العصر الأموي ، أو بقي عليها ، لأنهم لا يعترفون بأن روح الإسلام قد ظهرت بوضوح في الشعر العربي . . . وأشير هنا إلى محاولتي في قراءة ديوان الفرزدق للتعرف إلى أثر الإسلام في شعره ، فوجدت ذلك شيئاً ، استغرقت الإشارة المجملة إليه مايقرب من مائة صفحة كبيرة . . . فما بالنا لو وقفنا أمامه وقفة تأمل وتحليل . . . وقد طبع هذا البحث منذ سبع سنوات . . . ولو أجرينا التجربة نفسها مع شعراء آخرين كذي الرمة وجرير والأحوص وغيرهم لوجدنا الدلائل الواضحة على أن الأدب الإسلامي قد خط طريقه وأوضح معالمه للسائرين . .

ولكن الإنحراف عن هذا الخط كان يقع بتأثير فتن في أفق السياسة والمجتمع ، اتجهت بالشعراء إلى معارك مصطنعة لشغل الناس بها وصرف اهتمامهم نحوها . .

وأشير هنا إلى الشاعر الأموي الأحوص ، فرغم اشتغاله بالهجاء وشدة الخصومة بينه وبين والى المدينة أبي بكر بن حزم الذي أبعده

عنها . . إلا أننا نجد شواهد الرؤية الإسلامية واضحة في شعره ، فهو على وعي بأن الشعر ينبغي ان يصدر عن حقيقة ، وهو في مدحه يرجع إلى مقاييس الإسلام ، يقول في خطابه للخليفة عمر بن عبدالعزيز:

وما الشعر إة خطبة من مؤلف
بمنطقٍ حق أو منطق باطلِ
فلا تقبلَنْ إلا الذي وافَق الرضا
ولا تَرْجعنا كالنساء الأرامل
رأيناك لم تعْدل عن الحق يُمْنةً
ولا يُسْرة فعل الظَّلُّوم المجادلِ
ولكنْ أخذتَ القَصْدَ جَهْدك كلَّه
وتقْفو مثالَ الصالحين الأوائلِ
فقلنا ولم نكْذب بما قد بدا لنا
ومن ذا يردالحقَّ من قول عادل(١)

وإذا كان هذا في المديح . . فقد قال في الغزل العفيف :

قالت وقلتُ تحرَّجِى وصِلِي
حَبْل امرىء بوصالكم صَبّ
صاحبْ إذن بَعْلى فقلت لها
الغدر شيء ليس من شَعْبي(٢)
ثِنْتان لا أدْنو لوصلهما
عِرْس الخليل وجارةُ الجَنْبِ

---

(١) خلقي . وتروى : ضربي .
(٢) ديوانه ص ٨٢ .

أمـــا الخليـلُ فلست فــاجعــــه

والجار أوصـــــاني بــــــه ربي(١)

لقد كـان للإسـلام أثره الـواضح في توجيـه التعبير عن العـاطفة في الأدب العربي .

ولم يكن بـاستطاعـة الشعر العـربي أن يغير موقفـه من العاطفـة أو يحسن التعبير عنها لو لم يتغير مـوقف المجتمع العربي - بفضل الإسلام - من المرأة هذا التغيير العظيم الـذي رفع مكانتها ونظـر إليها نظرة إنسـانية سامية تعلو عن كونها أداة لهو ووسيلـة متعة ، ولو لم يتطهر ذلك المجتمع من الآثام والفـواحش ، ويعرف مبادىء الأخلاق الكريمـة ومُثل الإسلام الرفيعة .

شعر العاطفة العفيفة :

إن الشعر الـذي يمثل النظرة الإسلاميـة إلى العاطفة قـد صدر عن كثير من الآحـاد غير المشتهرين من الشعـراء الإسـلاميين وأفراد مجهـولين حفظ المجتمع الإسـلامي أشعارهم وعنى بـرواية بعضهـا أهل الروايـة ، ولكن طغى على هـذا الجانب المثـالي ، شعـر اللهـو والمجـون في العصر العبـاسي الذي ارتبط بشعـراء مشهورين مقـربين من الحكام وأصحـاب الجاه . . .

ويـدلنـا على ذلك ان محمـد بن داود الظـاهري قـد أورد في كتـابـه «الزهـرة» وبعضهم من المجهولين لكن أحداً لم يهتم بهذا اللـون من شعر العاطفة العفيف بعد ابن داود الذي عاش في القرن الثالث الهجري .

يروي ابن داود عن العُدَيْس الكِنَاني قوله :

(١) ديوانه ص ٨٢ - ٨٣ جمع وتحقيق/ عادل سليمان . الطبعة الأولى القاهرة : ١٣٩٠ - ١٩٧٠م .

جـزى الله الـوشـاة جـزاء سـوء
فإنهم بنـا قـد يـولعـونـا
ولـو لم نَخْشَ إلا النـاس كـانـوا
علينـا في الإسـاءة هَيِّنينـا
ولكنـا نخـاف الله حقـاً
ونخشى الله إسـلامـاً ودِينَـا
ونَسْتَحْيِي ونـرعـى غَيْبَ جُمْل
ونحن على المودة منطـوينـا(١)

إن الشاعر المسلم يشعـر كغيره بالعاطفة الفطريـة ويتأثر بالجمال ، لكنه محكوم في تعبيره وسلوكه بالمنهج الخلقي الذي جاء به الإسلام .

روى الزبير عن أبيه عن جده قال :

قـال عثمان زر حُبَابـة بـالعَرْصـة
تُحْدث تحيـةً وسـلامَـا
ثم تلهـو إلى الصبـاح ولا تَقْمـر
سربٌ في اللهـو والحديث حَرامَـا
وصَفُـوهـا فلـم أزل عَلِم الله
مُسْـتَـوْلهـاً مُسْتَـهـامَا
هل عليهـا في نظـرة مِنْ جُنَـاح
من فتـى لا يـزور إلا لِمَامَـا
حـال فيهـا الإسـلام دون هـواه
فهـو يهوى ويـرقب الإسـلاما
ويميـل الهوى بـه ثم يخشـى
أن يطيع الهوى فيلقى أثَـامَـا(٢)

(١) الزهرة ١ / ٧٠ .
(٢) ذم الهوى لابن الجوزي ٢٣٧ .

ولا نقف هنا عند حكم النظرة التي يتمناها هذا الشاعر . . .
فلعلها نظرة خاطب . . وهي جائزة بمقاييسها الشرعية لكننا نقف عند الصراع النفسي الذي يواجهه بين الهوى الجامح والتوجيه الإسلامي الراشد . . فهو يهوى ويرقب الإسلاما . . ويميل الهوى به ثم يخشى أن يطيع الهوى . .

فأين من هذا الأفق العالي ماتدنى إليه التعبير عن الغريزة لدى فسقة الشعراء في القديم وفسقتهم في العصر الحديث - من إسفاف وحيوانية . . وإثارة للغرائز وإضرام لنيران الشهوات . . مما يسمونه حرية وإبداعاً وهو الإنحلال والإنحطاط والعبودية للمنحلين . . .

ومع هذه التأثيرات العميقة للتوجيه الإسلامي في الأدب العربي التي ظهرت لدى شعراء خلطوا عملوا صالحاً وآخر سيئاً - فقد ظهر في تاريخ الشعر العربي شعراء أخلصوا أنفسهم لعقيدة الإسلام به . .

فلم يصدر عنهم قول سيىء ، ولم يتناولوا في أشعارهم غرضاً يأباه هدى الإسلام . .

ونمثل لهؤلاء بشاعر أموي في القرن الهجري الأول هو سابق البربري . وشاعر عباسي في القرن السابع الهجري هو ابويحيى الصرصرى .

وشاعر أندلسي في القرن الخامس الهجري هو أبو إسحق الإلبيري .

ولا نستطيع في مجالنا هذا أن نقدم صورة مفصلة عن كل واحد من هؤلاء ، فذلك يحتاج إلى دراسة واستقصاء .

سابق البربري :

لكن الشاعر الأول قد حظي بدراسة في رسالة علمية لدرجة الماجستير بجامعة أم القرى لطالبة جادة مجتهدة وعنوانها «سابق البربري والاتجاه الإسلامي في شعره» وقد قاربت صفحاتها ستمائة صفحة . .

والمؤسف أن هذا الشاعر الذي ولد في منتصف القرن الهجري الأول وكان معاصراً لعمر بن عبدالعزيز وأثيراً لديه قد تعرَّض شِعْره للضياع ، فلم يُجمع في ديوان ، وإن كان هناك من يذكر أنه كان له ديوان ، لكن عدت عليه عوادي الزمان . . . وقد أتيح لهذه الدراسة المتأنية أن تجمع من شعره المتناثر مايزيد على مائتي بيت وتوثقها من مصادرها . . . ويصدق على هذا الشعر ما قيل في ترجمة الشاعر العابد الزاهد ، فليس فيه مديح ولا هجاء ولا فخر ولا رثاء ولا غزل . . بل جاء كله في الحكمة والزهد والتأمل والتذكير . .

وقد ذكره الجاحظ في البيان والتبيين وإن كان قد نقد شعره بأنه في غرض واحد هو الزهد والحكمة(١) . إن التزام سابق البربري بالمنهج الإسلامي في شعره واجتنابه كل ما يؤثّم أو يَعِيب . . لا يعني ضعف شعره وخروجه عن حد الشعر واستحالته إلى مواعظ تقريرية أو نصائح مكرورة . .

والمشكلة ان شعره قد ضاع ولم يبق منه إلا شواهد متفرقة يسوقها أصحاب كتب الأدب الإسلامي والتوجيه الخلقي مساق الأمثال . .

لنستمع إليه وهو يصور المفارقة بين موقف من يزهد في الدنيا بلسانه ويميل إليها بقلبه ويصبو إلى زينتها . . . فيقول :

وِلِلْموتِ تَغْذو الوالداتُ سِخَالَها
كما لخراب الدهر تُبْنى المساكنُ

(١)البيان والتبيين ١/ ٢٠٦ .

عجبتُ من الـدنيا وذمّي نعيمها
وحبيّ لها في مُضْمَر القلبِ ساكنُ
وقـولي أعِـذْني رب من كل فتنة
وأكْلَف منها بالـذي هـو فـاتن(١)

ومابقي من شعره يحمل طابع القصيدة الكاملة قليل . . ومن ذلك قصيدته التي مطلعها :

تـأوّبَنِي هـمٌّ كثير بـلابلـه
طُروقاً فغال النـومَ عنّي غـوائلُـهْ
فـوَيْحِي مِنَ الموتِ الـذي هـو واقع
وللمـوت بـابٌ أنت لابـد داخلُـهْ
أيأمن ريب الـدهـر يـانفسُ واهنٌ
تجيش لـه بالمُقْطِعـات مـراجلُـهْ
فلم أر في الـدنيـا وذو الجهل غـافل
أسيراً يخاف القَتْلَ واللهـوُ شـاغلُـهْ
فما بـالـه يَفْـدِي من الموت نفسَـه
ويأمن سيفَ الـدهر والـدهرُ قـاتلُهْ
ولا يَفْتدِي مِنْ موقفٍ لو رمى الردى
بـه جبلاً أضحتْ سَرابـاً جَنـادِلُـهْ
وبَعْـدَ دخـول القبر يـانفس كُـرْبـة
وهـول يُشِيب المرضعين زلازلُـهْ
إذا الأرض خفَّتْ بعـد ثُقْل جبـالها
وخلّى سبيلَ البحـر يانفـسُ ساحلـه

(١) سابق البربري ص ١٦١ رسالة مخطوطة للأستاذة شادية حسن زيني .

فــلاَ يــرْجِـى عــونــاً على حَمْل وزره

مسىء فأوْلى النـاسِ بالـوِزْر حاملـه

وتبلغ هذه القصيدة أربعـة وثلاثين بيتاً وقد اختار لها الشاعـر قافية الهاء الساكنة الملائمة لجو الخشوع والزهبة والتأمل في المصير .

وفيها من المعـاني الإيهانية الصادرة عـن التدبر في كتـاب الله والتأثر بمعانيه الشيء الكثير .

وفيها يقول :

وفيك إلى الـــدنيـــا اعتراض وإنما

تُكَـال لـدى الميزان مـا أنت كـائلـه

فـلا تنتكثْ بَعْــدَ الهدى عن بصيرة

كما نكث الحبل المضــاعف قـاتِلُــهْ

يشير إلى قوله تعالى : ﴿ولا تكونوا كالتي نقضَـتْ غَزْلها من بعدِ قُوة أنكَاثا﴾ .

وتَطْلب في الــدنيـا المنــازَل والعــلا

وتَنْسى نعيماً دائماً لا تُـــزَايِلُـــهْ

كمَنْ غــــرَّه لَمْع السراب بقيعـــة

فقصَّر عن وِرْدٍ تَجيشُ منَــاهِلُــهْ

وقـد خـانت الـدنيـا قرونـاً تتـابعـوا

كما خـان أعلى البيتِ يـوماً أسـافِلُـهْ

وتُصْبح فيهـــا آمنـــاً ثـم لم تكن

لتأمن في وادٍ بـــه الخوف نـــازلُـــهْ

إن هـذه المعاني لـو جـاءت في شعر شـاعـر غـربي لعُدَّت فلسفـة حكيمـة ونظـرة عميقـة إلى الوجـود الإنسـاني ، لكن المستهـزئين بأدبنـا

الإسلامي ينظرون إلى مثل هذا الشعر على أنه شعر وعظ تقليدي لا يعكس نظرة مستقلة إلى الوجود . . .

موعظة الخليفة !

أما أطول قصيدة بقيت لسابق فهي رائيته الشهيرة التي وعظ بها الخليفة الزاهد عمر بن عبدالعزيز ويبلغ ما بقي منها خمسين بيتاً ، وكانت في الأصل أطول من ذلك .

ذكر ابن عساكر في تاريخ دمشق أن عمر بن عبدالعزيز كتب إلى سابق البربري : أنْ عِظْني . فكتب إليه سابق بهذه الأبيات :

باسم الذي أُنْزلت مِنْ عِنْده السورُ
والحمدُ لله أمَّا بعدُ يا عُمَرُ

إنْ كنتَ تعلم ما تأتي وما تذَرُ
فكن على حَذَرٍ قد يَنْفَع الحذَرُ

واصبر على القدَر المقدور وارْضَ به
وان أتاك بما لا تَشْتهي القدَرُ

فما صفا لامرىء عَيْش يُسَرُّ به
إلا تَتَبَّع يوماً صَفْوَه الكَدَرُ

واستخبر الناس عما أنت جاهله
إذا عَمِيتَ فقد يَألو العمى الخبرُ

فإنْ أقمت على ألا مساءلةً
فلست تعرف ما تأتي وما تَذَرُ

قد يَرْعَوِي المرءُ يوماً بعد هَفْوته
وتُحْكِم الجاهلَ الأيامُ والغِيَرُ

إن التُّقَى خير زاد أنـت حـــامِلُــهُ
والبرُّ أفضلُ شيء نـــــالــــه بَشَرُ
وفي الهدى عِبَرٌ تُشقَى القلـــوبُ بها
كـالغيث يَنْضُر عن وَسْمِيِّه الشجَـرُ

ومع أن القصيد حِكْمية وعظية . . . إلا أن سابقاً البربري لا يخليها من اللمحات التصويرية المحركة للوجدان . . فيجعل نفسه مثالاً لموقف أكثر الناس من الدنيا واعتزازهم بزخرفها فيقول :

حتَّى متى أنـا في الـدنيـا أخـو كَلَف
في الخدِّ منِّي إلى لـــذاتها صَعَـــرُ
ولا أرى أثَــر للــذِّكْــر في خَلَــدِي
والحَبْلُ في الحجَـرِ القـاسِي لـه أثَـرُ !
لـو كـان يُسْهِـر عَيْني ذِكْـرُ آخـرتي
كما يـــؤرِّقُني لِلْعـــاجل السَّهَـــرُ
إذاً لـــداوَيْتُ قلبـــاً قــد أضرَّ بــه
طول السَّقَـام . وهَيْض العَظْمِ يَنْجبر

قيل هـذا الشعر في أواخر المائة الأولى من تـاريخ الإسلام فهـل كان بإمكـان شاعر جـاهلي أن يتحدث عـن هذه المعاني أو أن يحاسـب نفسه الحساب ويستشرف بها إلى هذا الأفق؟!

مقولات خاطئة :

إن مقــولات بعض النقـــاد القـدامـى قـد أضرَّت بقضيــة الأدب الإسلامي . . إذ تناقلوا قول الأصمعى إن الشعر إذا أدخلته في باب الخير

لأن - أي ضعف - وان طريق الشعر هو طريق شعر الفحول مثل امرىء القيس وزهير والنابغة من صفات الديار والرَّحْل والهجاء والمديح والتشبيب بالنساء وصفة الخمر والخيل والحروب والافتخار(١).

أي أن الشعر لا يصلح إلا مع أغراض الجاهلية ومعانيها . ويردد هذه المقولة ابن قتيبة ناقلاً عن الأصمعي ان الشر فإذا دخل في الخير ضعف(٢) .

بل يزيد الثعالبي الأمر سوءاً حين يزعم ان الشيطان أصلح للشاعر وأليق به وأذهب في طريقه من المَلَك(٣) .

إن هذه المقولات مردودة على أصحابها فالضعف لا يختص بالشعر الذي يتجه وجهة الخير ولا هو لازمة من لوازمه . . وقد يسخُف الشعر ويضعف وهو أبعد مايكون عن الخير . . فيجمع إلى سوء الشكل سوء المضمون .

وقد نقد الباقلاني في كتابه «إعجاز القرآن» معلقة امرىء القيس :

«قِفَا نَبْك من ذكرى حبيب ومنزل» نقداً مريراً . . ويبين مافي كثير من أبياتها من ركاكة وتهافت وتكرار وإسفاف(٤) .

كما بين تصنُّع أبي تمام وتهافته في لاميته :

متى أنت عن ذُهْلية الحي ذاهل
وصَدْرُكَ منها مدةَ الدهر آهِلُ

تُطِلُّ الطُّلولُ الدمعَ في كل موقف
وَتَمْثُل بالصبر الديار المواثِلُ

(١) الموشح للرزباني ص ٥٦ (ط محب الدين الخطيب) .
(٢) الشعر والشعراء ١/ ٣١١ .
(٣) خاص الخاص للثعالبي .
(٤) اعجاز القرآن للباقلاني ١٥٨ - ١٨٣ / تحقيق السيد صقر .

دوارس لم يَجْفُ الـربيع ربـوعهـا

ولا مـرَّ في أغفـالها وهـو غـافل

لقـد سحبت فيهـا السحاب ذيـولها

وقـد أخملت بـالنَّـوْر تلك الخمائلُ

وكلهـا من هـذا الجنس البـارد!

قال الباقـلاني : «ومن الأد ، من عاب عليه هذه الأبيـات ونحوها على ما قد تكلف فيها من البديع ونعمَّل من الصنعة فقال :

قـد أذهب ماء الشعـر ورونقه وفـائدته اشتغـالاً بطلب التطبيق أي المطابقة - وسائر ما جمع فيه» (١)

ولو نظـرنا في شعر سابق البربـرى الملتزم بالإسـلام لوجدنا فيـه ماء ورونقاً وبعداً عن التكلف والإغراق في الصنعة وننتقل من العصر الأموي

شاعر من بغداد :

إلى نهاية العصر العبـاسي لنجد الشاعـر يحيى بن يوسف الصرصري ، نسبة إلى صرصر من نـواحي بغداد ، الذي قـال عنه ابن كثير : الشيخ الامام العـلامة البارع في أنـواع من العلوم الفـاضل المادح الحنبلي الضرير البغدادي في معظم شعره في مدح رسـول الله ﷺ وديوانه في ذلك مشهور معروف غير منكر وكـان ذكياً يتوقد نوراً ، وكـان يَنْظم على البديهة سريعاً أشياء حسنـة فصيحة بليغة وما اشتهـر عنه أنه مدح أحـداً من المخلوقين من بني آدم إلا الأنبياء»(٢)

(١) إعجاز القرآن للباقلاني ص ١٠٨ تحقيق السيد صقر .
(٢) البداية والنهاية لابن كثير ١٣/ ٢١١ .

وقد قتل هذا الشاعر المسلم شهيداً يوم دخل التتار بغداد سنة ٦٥٦هـ وكان قد أعدَّ لهم حجارة ليرميهم بها ، فحين دخل التتار رماهم بتلك الأحجار فهشَّم منهم جماعة ، فلما خَلَصُوا إليه قَتَل بعكازه أحدهم ، ثم قتلوه شهيداً رحمه الله .

ومخطوطات ديوانه في برلين والأسكوريال وتركيا والقاهرة ودمشق . وفي مركز إحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى مصورتان لنسختين من نسخ ذلك الديوان . إحداهما مصورة عن نسخة مكتبة «شيستر بيتي» بإيرلاندا والثانية عن نسخة مكتبة الأزهر . وهذا الشاعر المسلم بحاجة إلى دارس ناقد يتأمل شعره ويزنه بميزان النقد الصحيح . . وهو من ناحية المضمون إسلامي خالص . . ومن ناحية الشكل جميل مليء بالصور وفي بعضه نظم يشبه نظم العلوم . . .

لقد عاش الصرصري في فترة حرجة من تاريخ الإسلام انتهت بسقوط الخلافة العباسية في بغداد واستيلاء التتار الوثنيين عليها .

وقد سبقت هذا الحادث المفظع أحداث وقلاقل وتمادى أهل البغي والضلال في ضلالهم ، وكان هناك صراع بين المستمسكين بمنهج الكتاب والسنة وأهل الزيغ والإبداع . . .

ومن هنا سخَّر الصرصري موهبته الشعرية في نصرة منهج أهل الحق والتصدي لأهل الباطل والتعبير عن مشاعر الأمة ، وتلك سمة مميزة من سمات الأدب الإسلامي أنه يعبر عن مشاعر الأمة ويعيش أحداثها ، وإن حاول المبتدعون تنفيرنا من أدب الوقائع والمناسبات ، كما يسمونه ، وايها منا بأن مهمة الشاعر ان يعبر عن ذاته وأن يغني لنفسه ، ولا عليه ، مايصيب الناس حوله من زلازل وأحداث .

التزام الشاعر المسلم بقضايا الأمة :

وإذا كانت المذاهب المادية المعاصرة تلزم الشاعر بأن يعيش قضايا مجتمعه ، وألا يشغل الناس برؤاه الفنية التي لا نفع لها . .

فإن التوجيه الإسلامي للأدب يلزم الشاعر والكاتب أن ينفعل بما يصيب الناس من حوله ، وان يعيش مع أمته ، معبراً عن آمالها وآلامها ، ساعياً إلى عزتها ونهضتها ، لا أن يكون عبئاً عليها بفضول القول وعبث الرؤى . .

مع أن الإسلام لا يحظر على الشاعر أن يعبر عن ذاته وان يَصْدر عن تجربته الخاصة ، بشرط أن يؤدي واجبه الإجتماعي ، وأن يعبر عن الآصرة التي تربطه بدينه وأمته . .

وقد أخذ بعض النقاد المعاصرين يتحررون من وهم الرؤى ويُقِرون بصلة الشعر بالحياة ووقائعها . . ومن هؤلاء الشاعر الحداثي المعاصر أحْمد عبدالمعطي حجازي الذي كتب أخيراً في سلسلة مقالات يرد بها على دعاوي «أدونيس» :

«ولقد يحسب بعض الناس أن العرب وحدهم هم الذين وصفوا الوقائع وحركّتْهم المناسبات ومدحوا وهجَوْا وتكلموا في السياسة والمجتمع ، لكن هؤلاء لا يعلمون أن أكبر شعراء العالم ، من أول «هوميروس» إلى «أراجون» لم يَخْلُ شعرهم من هذه الموضوعات إن لم يدر معظمه عليها . ولماذا يكون من حق شكسبير أن يقول عن بلاده : هذه القطعة المباركة . . هذه الأرض . . هذه المملكة هذه الإنجلترا» ولا يكون من حق شوقي أن يقول :

وطني لو شُغلتُ بالخُلْد عنه
نازعتني إليه في الخلد نفسي

ولماذا يكون من حق «أراجون» «وايلوار» «وبيتشي» أن يسخّروا شعرهم لقضايا بلادهم ولا يكون ذلك من حق شعرائنا[1]

الواقعية لا تنافي الإبداع :

المهم أن نؤكد أن واقعية الشعر وتناوله لقضايا الحياة ليست حائلاً بينه وبين الإبداع . . وأن الشاعر المسلم لا يستطيع أن يتجاهل مشاعر أمته ، ولا أن يفرح وهي محزونة . . ولا أن يشتغل بالتوافه . . وأمته تواجه الكوارث والخطوب . .

وهذا مانجده في شعر يحيى الصرصري البغدادي ، الذي كان يحاول نصرة أمته في صراعها مع قوى الشر والفساد والطغيان .

قال الصرصري حين انقطع موكب الحاج من بغداد بسبب الأحداث التي سبقت سقوط بغداد :

مُنِعْنَا الحجَّ والسببُ الذنوبُ
ونحن عن المعاصي لا نتوب
تطاول مَنْعُه عاماً فعاما
فكيف يلَذُّ عيشٌ أو يطيبُ
وما العجَبُ انقطاع الحج لكنْ
دوام سرورنا عجَبٌ عجيبُ!
أيُغلَق باب كلِّ الخير عنا
ولا نَبْكي؟ لقد قَسِت القلوب!
وكيف وجُلُّ مَطْعمها حرام
يكون من الخشوع لها نصيبُ؟!

---

(١) من مقال لأحمد عبدالمعطي حجازي بعنوان : أسئلة الشعر بجريدة بتاريخ ١١/١/١٩٨٩م .

تملّكهــــا الحُطَـــــام فكل إثـم
لــــه بصميمهـــا سَهْـمٌ مُصِيبُ

فما رزأ القلـــوبَ إذاً لعمــــرى
أحـق بـأن يهيـم لــــــه اللبيـبُ

طَـــوى عنــه فـــوائدَه هـــواه
وصــانـت سِرَّهـا عنـــه الغيـوبُ

ولـــو أنـــا عَقلْنـا مـــا فقــدنـــا
لكـــان بكل نـــاحيـــةٍ نَجيبُ

فقــدنـــاهـــا مـــواسم مُشْرِقـات
بـــوَبْل البِرِّ مَـــرْبَعُهـــا خَصِيبُ

مـــواقفهـــا مـن الخيرات مَـــلأى
وظِـلُّ مقيلهـــــــــا أرِجٌ رَحِيـبُ

حِيَـــاض الأنسِ فيهـــا مُتْرَعـــات
وروض بقـــاعهـــا غَـضٌّ رَطيبُ

فكَـمْ نِعَم بنَعْمَان استفـــــدنـــــا
وكم غُفِـــرت بســاحتــه ذُنــوبُ

وفي عــرفــاتــه كـم قـد عـرفنـا
بها عَـــرْفـــاً لـــــه رَوح وطِيبُ

مـــواطن لـــو تبـاع بِبَــذْل رُوح
يصـــادف بُغْيتي فَـــرَجٌ قـــريبُ

فـــواسفـــاه هل يُقْضَـى رجـــوع
إليهـــا أمْ نمــوت فــلا نَـؤُوبُ؟!

إن العــاطفـة الصادقـة والصـور المتألقـة في هذه الأبيـات واضحـة

للمتأمل . . وتعبيره عن مشاعر الأمة ونقده لخطايا المجتمع يدل على التزامه بوظيفة الشاعر المسلم . .

حين جاء التتار :

وحين جاءت طلائع التتار إلى بغداد ثم ولوا منهزمين تحت الليل ، قبل سقوط بغداد سنة ٦٥٦ يقول الصرصري :

أشكو إلى الله الشديدِ القَهْرِ
مِنْ فتنةٍ تموجُ مَوْجَ البَحْرِ
تَغْلِي من الشرِّ كغَلْيِ القِدْرِ
قد ملأت بَرُعْبها والذُّعْرِ
فؤاد كلِّ فاجرٍ وبَرّ
حلت من الأرض بكل قُطْرِ
وفتكت ببدوها والحضر
فأمعنت بنابها والظُّفْرِ
وأوطأتهم مثل حَرِّ الجَمْرِ
تهوى على الناس هُوِيَّ الصَّقْرِ
على بُغَاثٍ هُمُ في وَكْرِ
جاءت من الشرق كسَيْلٍ غَمْرِ
أو ريح نَحْس أقبلت بِصَرِّ
في مُجْدِب أَشْهَبَ مُقْشعِرّ
فذهبت بنعم وثَمْر
أو جاثمٍ أحْمَرَ مُقْمَطِرّ

أُجّج في ذات غضـــاً وسِـــذر
في يـــوم ريحٍ عـــاصفٍ مُغْبَرّ
تـأتي على اليـــابس والمُخْضَرّ
يــافِتْنــةً قــاصمــةً لِلظَّهْــرِ
هــائلــةً بِكَيْــدهــا والمَكْــرِ
تُلْقَى بــوجــهٍ كــالحٍ مُــزْوَرّ
مُسْتَبْشَـع المنظـــرُ مكْفَهِـــرّ
فيهـــا رجـــال خُلِقـــوا للشرّ
طينتهم معجـــونـــة بـــالغَـــدْر
سقتهـم القسـوةُ كـأسَ المُرّ
تَحْسَبهم مِـنْ غَمَـرات السُّكْـرِ
يـــرون شُمْخَ الـــذَّرّ
كـم بلَـــدٍ بِقْتْلهـم والقَسْر
أصبح بَعْـدَ انسِــه كـالقَفْـرِ
واعتــاض مِنْ عِـرْفـانــه بـالنُّكْـر
والخُلْـف بَيْن الـــزعماء يَجْرِي
في كل مـــا ثَغْـــرٍ لنـــا ومِصْرِ
أمـــرٌّ مـن كل فظيـعٍ مُـــرّ
زيـــدٌ يَـــرُوم غِـــرَّةً مِنْ عمـــرو
لـــو نَصحـــوا في سرِّهم والجَهْـــرِ
للهِ نُصْـحَ صـــادقٍ ذي بَـــرّ
لنَظَّفـــوا صـــدورهم مِنْ غُمْـــرِ
وأقبَلُـــوا نحـــو إمـــام العَصْرِ
من غـــامضِ البحـــر وأقصى البَرّ

مُعْتَقِلى الـدنَّ العـوالي السُّمْـرِ
لنُصْرة الـدِّيـن وشـدِّ الأزْرِ
فهـو عليهـم واجبٌ بـالأمـر
ليس لهم في تَـركـه مِـنْ عُـذْرِ
إن لم يكن عنـدهم في الأجْـر
مِـنْ رَغَـب أو طلـبٍ لِشُكْـرِ
فـأين غَيْرَةِ الملـوك الغُـرّ
على المَصُـونـات ذوات الخِدْرِ
من كيـد أربـاب الخَنَـا والخَتْرِ
والنـاس من غفلتهـم في بسترِ
يَـرْجُـون بـاللهـو وشرب الخمـر
نصراً وأنّـى لهُمْ بـالنصرِ
لـو نَبـذوا طاعـة المُغْتَرّ
وأقلعـوا عَـنْ حَـوْبـة المُصِرّ
إقـلاع عَبْـدٍ وَجِلٍ مُقِـرّ
بمـوجَب الـذنـب الثقيل الـوِزْرِ
وأخْلَصـوا قنـوتهم في الفَجْـر
وحشـدوا في الجُمُعـات الغُـرّ
وأخـذوا في ضَرَع وجَـأْر
كفعلهم عِنْـد احتبـاس القَطْـرِ
لعَجَّـل الـرحمنُ كَشْـفَ الضُّرّ
عنهم وفـازوا بـالـرضـا والغَفْـر(١)

هكذا كـانت حال المسلمين أمـام التتار، ورعبهم في مـواجهتهم ،

(١) «ديوانه المخطوط نسخة مكتبة شستربيتي» مصورة بمركز إحياء التراث الإسلامي بمكة المكرمة .

وهكـذا كانت رؤيـة الصرصري لأسباب ضعف المسلمين وتخاذلهم أمـام أعـدائهم ، وهي رؤية صحيحـة يضـاف إليها إهمالهم في اتخاذ الأسبـاب وإعداد القوة التي أمرهم الله بإعدادها لمواجهة أعداء الدين .

لكن الصرصري كـان مطمئنـاً إلى أن التتـار لن يستطيعـوا اجتيـاح بغداد استنـاداً إلى الحديث الذي رواه مسلـم وأحمد والترمذي عن ثـوبان رضي الله عنـه أن النبـي ﷺ قـال : **«وإني سألـت ربي لأمتي ألا يهلكهـم بِسَنة عامـة وألا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ، وإن ربي قال لي : يا محمد إني إذا قضيت قضـاء فإنه لا يرد وإني أعطيتك لأمتك ألا أهلكهم بسنة عامـة وألا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولـو اجتمع عليهم من بأقطـارهـا حتى يكـون بعضهم يهلك بعضاً ويَسْبي بعضهم بعضاً»**(٢) .

ولذلك حين تـواترت الأخبـار بورود التتـار وهرب أكثـر الناس عن أوطـانهم خـوفـاً منهـم ، وذلك في جمادي الأولى من سنـة سبع وأربعين وستمائة - أي قبل تسع سنـوات من سقـوط بغـداد - أخـذ الصرصري يطمئن النـاس بأن التتـار لن يستطيعـوا اجتيـاح بغداد استنـاداً إلى هـذا الحديث .

وهذا فهم لا نـوافقه عليه . . فإن التتار لم يستطيعـوا اجتياح بغداد إلا بأسبـاب الإختـلاف والتنـازع بين المسلمين، وبتـدبير من الـوزيـر الرافضي ابن العلقمي الذي كاتَب التتار وأمدهم بالمعلومات .

لكن الصرصري قال :

عَهْـدُ المصطفى بـوَحْي السـلام
عَهـد حق لبيضـة الإسـلام

---

(١)رواه مسلم في صحيحه كتاب الفتن حديث رقم ١٩ .

مـــالها مِـنْ عِـــدَاتها مستبيـحٌ

ولـــو استجمعَتْ طُغَـــاةُ الأنـــامِ

قـــد رواه الامـــام أحمد في المسنـــد

سيفُ المحتـجِّ عنـــد الخِصَـــامِ

قـــال أشيـــاخنـــا هـي البلــد الجا

مع فيـــه تكـــون دار الإمـــامِ

فهـي الآن لا محالـــــة بغـــداد

محلّ الامــــام دارُ الســــلامِ

فلماذا القلـــوب فيهـــا ارتيـــاعٌ

وهـــو أوْفَى الـــورى بِعَقْـد ذِمَـــامِ

وأري الـــرعبَ بَعْـدَ هـذا عِقَــابـــا

هـو عقبى كَسْبِ الـذنـوب العِظَـامِ

قسماً بـــــالمهيمن البَرِّ لـــــولا

وَعْـدُ صِـدْقٍ بـالــوحيِ لا الإلهامِ

لم أكـن ارتجى لأكثـــــــر أهـل

الأرض خيراً لجهلهم والتعـــامِـي

فـرَّطـوا في الصـــلاة حتى أضـاعـوا

وقتهـــا والـــزكـــاةِ في كلِّ عـــامِ

وفشـا فيهم الفســوق وشُرْب الخمـر

بعـــد الـــربـــا وكَسْبِ الحرامِ

شـاع فيهم سَبُّ الصحـابـة والقـول

بخَلْـق القـــرآن ذيِ الأحكـــامِ

كـذَّبـوا بـالقضـاء والقَـدَر المحتـوم

مـن ذي الجلال والإكـــــــرامِ

وافترَوْا في الصِّفـــات زوراً بتعطيل

لِما صـحَّ عن ثِقَـــاتٍ كِـــرَامِ

وأذاعــوا بـــالاعتـزال وبـــالإرجـــاء

جـــاءوا واستحسنـــوا قبيحَ الأثَـــامِ

بئـس المُتَّقِـــى لهم نجـــــاة

عِنْـــدَ إصرارهم على الإجــــرام

وبعد ذلك هنـاك العديد من نماذج الصرصري في تصويـره لحاله ، وحال أمته ، وفي مدائحه النبوية التي لم يقل مثلها شاعر من الأندلس .

شاعر من الأندلس :

أما الشـاعر الأخير الـذي لابد أن نـذكره ، أو نلم بـه كمثل للتأثير الإسلامي الخالص ، فهو شاعر من الأندلس .

إنـه ابـراهيم بن مَسْعـود التُّجِيبي ، وكنيتـه ، أبـوإسحـاق ولقبـه الإِلْبِيري .

وقد ترجم له القاضي عياض في ترتيب المدارك كما ترجم له ابن الأبار في كتابه «تكملة الصلة» وكانت وفـاته قريباً من سنة تسع وخمسين وأربع مـائة وقد نشر ديـوانـه المستشرق الأسباني «غـرثيـه غومث» ثم أعـاد نشره الدكتور «محمد رضوان الداية» عام ست وتسعين وثلاثمائة وألف ، ورجَّح الدكتور أن هذا الديوان لا يمثل شعر أبي اسحاق كله بل مختارات منه .

ويقول المستشرق الأسباني في دراستـه لأبي اسحاق الألبيري تنتهض

شهرة هذا الشاعر على أعماله الزهدية خاصة . لكن شهرته بين الأوروبيين تعود في المقام الأول إلى قصيدته الشعرية الشهيرة التي توجه بها إلى بربر صنهاجة يحرضهم فيها على اليهودي «يوسف بن النّغْرلّة» وزير الملك «باديس» وهي القصيدة رقم خمسة وعشرين في الديوان .

والحق أن القصيدة تستحق ماحظيت به من شهرة . ولا نعرف إلا في القليل النادر أن أبياتاً من الشعر لعبت دوراً سياسياً مباشراً في التاريخ السياسي لأمة من الأمم فكهربت العزائم ، ودفعت بها في سرعة خاطفة إلى إشعال الحرائق وشحذت السيوف للقتل ، كالدور الذي لعبته هذه القصيدة .

يشير هذا المستشرق الأسباني إلى الواقعة التي ثار فيها المسلمون على اليهود واحتكارهم في غرناطة في التاسع من صفر عام تسع وخمسين وأربعمائة الموافق للثلاثين من ديسمبر عام ست وستين وألف من الميلاد ، ويواصل حديثه قائلاً :

«لم يحدث أبداً ان كان البُغْض ذا بصيرة ، ولا الشراسة أكثر فِطْنة ، كما حدث في هذا اليوم . ومن المثير حقاً أن نرى في قرن واحد الشعر غارقاً في الصناعة والشعراء مولعين بنظم النجوم والتوهان في الحدائق . .

لكن هذا الشيخ لا يهدأ ، إنه برعم وفي لدم عربي . . لم يستطع أبو إسحاق أن يهاجم باديس مباشرة ، ولا يستطيع أيضاً أن يحرك أداة أخرى غير جنود بربر صنهاجة المتمردين . وهؤلاء ليسوا مهيئين للأشعار الرقيقة وحظهم من العربية محدود ، وكل قدرتهم ربما أن يفهموا المعنى العام لقصيدة شعرية فحسب ، ومع ذلك فليس مهما : سوف يبتعد الشاعر في هذه المناسبة عن الكلمات الغامضة والبحور المعقدة ، وعن الرموز الشعرية وعن الأوصاف والأقوال المكرورة في مصنع

الشعـراء ، فليأخـذ من العـربيـة أشد الكلمات قـوة وصـلابـة ، الألفاظ التي يمكن أن يفهمهـا كل مسلم قادر على قـراءة القرآن وأن يجمعها في تراكيب سهلة غير معقدة ، وأن يرمي بها في مقاطع عادية مؤثرة كالخطـوة العسكرية ، وأن تكون في بحر المتقارب»(١)

القصيدة التي أخرجت اليهود من غرناطة :

فما هذه القصيدة التي استحقت تلـك العناية من المستشرقين حتى ليقول عنها هذا المستشرق الأسباني :

«لعل الشعر الأنـدلسي لم يعرف أبـدا البساطة عـارية كما عـرفها في هـذه القصيدة ، وفي الـوقت نفسـه لم ير قصيـدة مثلهـا يلفّها مثل هـذا الإعصار من المشاعر ، لقد اجتاحت أنغـامها حية متوهجة أعماق المدينة مع زفير النيران وحشرجة الموتى»(٢)

يقول استـوزر باديس صـاحبُ غرنـاطة اليهوديَّ الشهير بابن نغـرلة وأعضل داؤه المسلمين قـال زاهـد البيرة وغـرناطـة أبـواسحـاق الإلبيري قصيدته المشهورة التي منها في إغراء صنهاجة باليهود . . .

وذكر أبياتاً منها . . وهي قصيدة طويلة فثارت إذ ذاك صنهاجةعلى اليهـود وقتلوا منهـم مقتلة عظيمـة ، وفيهم الـوزير المذكـور وعـادة أهل الأنـدلس أن الوزيـر هـو الكاتب ، فأراح الله البـلاد والعبـاد ببركة هـذا الشيخ الذي نُور الحق على كلامه باد»(٣) .

---

(١) مع المتنبي وشعراء الأندلس لغرثيه غومث ترجمة الدكتور طاهر مكي .
(٢) المصدر السابق ص ٩٨ .
(٣) نفح الطيب ٤/ ٣٢٢ .

والقصيدة كما وردت في ديوان هذا الشاعر تبلغ سبعة وأربعين بيتاً بدأها بقوله :

ألا قل لصنهاجة أجمعين ... بدور الندى وأُسد العَرِينْ
لقد زلَّ سيدكمَ زلَّةً ... أقرَّ بها أعين الشامتينْ
تخير كاتبه كافراً ... ولو شاء كان من المسلمينْ
فعزَّ اليهود به وانتخوا ... وتاهوا وكانوا من الأرذلين
ونالوا مناهم وجازوا المدى ... فحان الهلاك ومايشعرون
فكمْ مسلمٍ فاضلٍ قانت ... لأرذل قرد من المشركين
وما كان ذلك من سعيهم ... ولكنَّ منا يقوم المعين
فهلاَّ اقتدى فيهم بالألى ... من القادة الخِيرةِ المتقين
وأنزلهم حيث يستأهلون ... وردَّهمُ أسفلَ السافلين
ولم يستخفوا بأعلامنا ... ولم يستطيلوا على الصالحين

ثم يخاطب أمير غرناطة قائلاً :

أباديسُ أنت أمرؤ حاذق ... تصيب بظنك نَفْسَ اليقينْ
فكيف اختفت عنك أعيانهم ... وفي الأرض تَضْرب منها القرون
وكيف يتمُّ لك المُرْتَقَى ... إذا كنت تَبْني وهم يَهْدِمون
وكيف استَنَمْتَ إلى فاسق ... وقارنته وهو بئس القرين
فلا تتخذ منهم خادماً ... وذَرْهم إلى لعنة اللاعنين
فقد ضجت الأرضُ من فِسْقهم ... وكادت تميد بنا أجمعين!

أما لماذا استحق اليهود في غرناطة نقمة هذا الشاعر المسلم فإنه يقدم لنا الأسباب المقنعة إذ يقول :

وإنّي احتللت بغرناطةٍ فكنت أراهم بها عابثين
وقد قسّموها وأعمالَها فمنهم بكلِّ مكانٍ لعين
وهم يقبضون جباياتها وهم يَخْصمون وهم يَقْضمون
وهم يلبسون رفيع الكُسَا وأنتم لأوْضعها لابسون
وهم أُمناكم على سرّكم وكيف يكون خؤون أمين؟!
ويأكل غيرهمُ درهماً فيُقْصَي ويُدْنون إذ يأكلون
وقد ناهَضوكم إلى ربكم فما تمنعون ولا تُنْكرون
وقد لابَسُوكم بأسحارهم فما تسمعون ولا تبصرون
وهم يَذْبحون بأسواقها وأنتم لأطرافها آكلون
ورخّم قردهم داره وأجرى إليها نمير العيون
فصارت حوائجنا عنده ونحن على بابه قائمون
ويضحك منا ومن ديننا فإنا إلى ربنا راجعون

هكذا بلغ التغلغل اليهودي المحتكر مداه في تلك العاصمة الإسلامية بسبب تسامح المسلمين ورحمتهم بالمستضعفين . . لكن هؤلاء اليهود أساءوا فهم هذا التسامح ، فإذا هم يقبضون على زمام الأسواق والمصالح الاقتصادية ، وإذا هم يستهزئون بالإسلام ، حتى اضطر ابن حزم رحمه الله إلى تأليف رسالة يرد فيها على مزاعم «ابن النغرلة» هذا اليهودي الذي تسنم منصب الوزارة في دولة اسلامية! من هنا وجد الالبيرى نفسه مطالباً بتغيير هذا المنكر . . وليس له من وسيلة غير قدرته الشعرية . . فاختبار هذا البحر ذا الإيقاع السريع الذي يشبهه المستشرق الأسباني «غرثيه غومث» بالخطوات العسكرية واختار قافية النون الساكنة لتترك تأثيرها في القلوب والأسماع . . واستنهض العزائم للتحرر من النفوذ

المهيمن للجماعة المسلمة ، فكيف تكون حوائجهم عند يهودي، وكيف تكون أسرارهم في يده وكيف يعيش المسلمون في غرناطة في ضنك وشدة، واليهود في دعة ورفاهية . . .

وقد برر ابواسحاق الالبيرى دعوته هذه بقولة :

وقد نكسوا عهدنا عندهم فكيف نلام على الناكثين
وكيف تكون لهم ذمة ونحن خمولٌ وهم ظاهرون
ونحن الأذلة من بينهم كأنا أسأنا وهم محسنون
فلا ترض فينا بأفعالهم فأنت رهين بما يفعلون
وراقب إلاهك في حربه فحزب الإله هم الغالبون(١)

استنهاض العزائم :

ونستطيع أن نقول إن هذه القصيدة مثل لمهمة الشعر الإسلامي في استنهاض العزائم وتوجيه الأمة إلى درأ الخطر والقيام بالواجب وتلك سمة أساسية من سمات الأدب الإسلامي إذ لا يقرّ الإسلام ذلك العبث الذي يقوم به المتحلّون بحِلية الشعر . . الذين يشغلون الناس بمباذلهم ورؤاهم المجنونة وتراكيبهم الغريبة . . فهذا هدم وتخريب وإلهاء للناس عن الجِد والإستقامة ورؤية الحقيقة .

وديوان الإلبيري كله شاهد على أنه استخدم موهبته هذه في البناء لا الهدم، والدعوة إلى الاستقامة والنهي عن الإنحراف وقد أبان لنا وعيه بخاصة الشاعر المسلم إذ قال :

لو أنني أدعو الكلام أجابني كإجابة المأسور دعوة آسرِ

(١)القصيدة ١ ٢ من ديوانه .

لكنْ رأيتُ نبيـــنا قد عابَه من كل ثَرْثار وأشْدَق شـاعرِ
فصمتُّ إلا عَنْ تُقى ولربما قذفتُ بِحارَ قريحتي بجواهرِ

ومع هـذا الإلتـزام بأدب الإسـلام الـذي أحنق المستشرقين الـذي تعرضـوا لدراسـة شعره وحاولـوا التهوين من تجربتـه والتشكيل في صدق مواقفه إلا أن المستشرق الأسبـاني «غورثيه غومث» يقـول : وإنه لجدير أن يحتمل مكانة في الصف الأول من الشعراء»(٢) .

الأدب الإسلامي في عصرنا الحديث :

إن مـوقف الأديب المسلم في عصرنا هـذا مـوقف حرج . . . لأنـه محاط بتيارات عنيفـة تتجاذبه ، وتوحي إليـه أنها طريق الإبداع والعبقـرية وتوهمه أن الإنتماء إلى الإسلام يلقيـه في ظلمات التخلف والإنقطاع ويحيله إلى واعظ منسحب من الحياة .

وهذه وسـاوس شيطانية ينبغي أن يبـذها الأديب المسلم ، وأن يرى فيها زيفاً وخداعاً وبعداً عن الحقيقة .

وقد جاء الـرد على هؤلاء عملياً في إبداع الشاعـر المسلم محمد إقبال الذي كان يرى أن الشعر وسائر الفنون الجميلة لابد أن يمتزج بدم القلب ويستمـد حرارتـه من تحرق الـوجدان ، ومن تجربـة حقيقـة مفعمة بـالألم والأمل معاً ولنستمع إليه إذ يقول :

دنيـــايَ آلام تـــذيـب حشـــاشي
لا تمنعــــوني أن أبثَّ جــــروحيِ
إني سأوقــد في القلـوب شمـــوعَهـا
وأزيـــد شعلتهـا بجـــذوة روحي(٣)

(٢) مع شعراء الأندلس .

(٣) ديوان اقبال . ترجمة الصاوي شعلان ص ١٩٢ .

ويقول :

عـواصف الخريف في ليل السهـاد
علّمت البلبلَ تـرجيعَ النَّغَمْ
دم الأمـاني فيـه للشعـر مـداد
وفي خُطوب الـدهـر أشعار الحِكَمْ

وقد كان إقبـال يهدف إلى اصطناع لغة تفهمها قلـوب أمته ، وتعيها أرواحهم وتصل من خـلالها إليهم رسالة قلبـه وخلاصـة تجربته وذلك إذ يقول :

أثـرتُ بنغمتي كـلَّ النـوادي
ومـن شَرَر الحيـاة جعلـتُ زادي
أضـاء القلـبُ من عقلي ولكـنْ
جعلت عِيَـارَ عقلي في فـؤادِي(١)

وكان يرى أن العنـاصر في الكون تتجاوب مع الشاعـر وتلبي نداءه إذا تحدث إليها بلغة الإيمان :

نـداؤك في العنـاصر مستجـاب
إذا دوّى بصـوتٍ مِنْ بِـلاَلِ

بل يتجاوز تأثير هذا الشعر الإسلامي الكونَ كله ويصل إلى ما فوقه مادام روح الإيمان يَسْري فيه :

كـلامُ الـروح لـلأرواح يَسْرِي
وتـدركـه القلـوب بـلا عَنـاءِ
هتفتُ بـه فطـار بـلا جَنـاح
وشق أنينـه صـدر الفضـاء
ومعـدنـه تـرابيٌّ ولكـنْ
جـرت في لفظـه لغـة السماء(٢)

---

(١) محمد اقبال رسالة المشرق ترجمة دكتور عبدالوهاب عزام رباعية رقم ١٣٩ .
(٢) من قصيدة شكوى وجواب لمحمد إقبال ترجمة الصاوي شعلان .

* وفي العربيـة أيضاً نجد في عصرنـا الحاضر نغمات عذابـاً لشعراء أحسوا بروح الإيمان تسري في قلوبهم .. كـالشعر الإسلامي لأحمد شوقي الـذي اتسع ومايـزال يتسع لـدراسات تحليليـة عـديدة . . وشعـر «أحمد محرم ، ومحمـود حسن اسماعيل» . . وكثيرين من الشعراء الـذين لم ينالـوا حظاً من الشهـرة والذيوع بفعل التعتيم الإسلامي الـذي تمارسه الصحف والمجلات في كثير من أقطارنا العربية . فيفسحون المجال لعبث الكلمات المسماة شعراً ، ومـا هي من الشعر في شيء ، ويضيقـون بالشعـراء الذين يعلنون انتماءهم لعقيدة الإسلام واخـلاصهم لمبادئه وحرصهم على أمتهم ومعايشتهم لقضاياها . .

و إذا كان لنـا ان نلخص خصائص الأدب الإسلامي عامـة والشعر خاصة فإننا نستطيع إيجازها فيما يلي :

١ - الإلتـزام بعقيدة الإسـلام والنظر إلى الكـون والحياة من خـلال منظار الإسـلام والتعامل مع الحيـاة والأحياء بأخـلاق الإسلام وآدابه .

٢- الإلتزام بـالدفـاع عن قضايـا الأمة المسلمـة والتعبير عن آمالها وآلامها والإحساس بمشاعرها .

٣- النظر إلى الكون نظرة رحمة تستجلي آيات الله وترى آثار قدرته .

٤- التعاطف مع الكائنات الضعيفة كالطير والحيوان والمستضعفين من البشر .

٥- الحفـاظ على ذاتيـة الشـاعر والأديـب وخصوصيتـه ونظـرتـه المستقبليـة ، وليس في هذا تنـاقض مع احسـاسه بـالإنتماء إلى الأمة ودفاعه عن قضاياها .

٦- إتاحـة الفرصة لـلأديب للتجديـد والإبتكار في صوره ومعـانيه

وألفاظه وإيقاعاته، فليس في الإسلام ما يحد حريته الفنية ولا مايلزمه بنمط معين في التصوير والتعبير .

فلنتواص بأن نعيد إلى أدبنا الإسلامي نضارته وابداعه . . حتى يعود إلى أدبنا العربي وجهه الإسلامي المشرق وعاطفته الكريمة الزاخرة وإيقاعه المطرب الجميل .



محتويات الكتاب